جامعة د.مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة: فلسفة

تخصص: فلسفة عامة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

والموسومة:

العقل العربي بين وحدة التفكير وإرادة التغيير

–زكي نجيب محمود نموذجا–

من إعداد الطالب:

- فتاتي محمد

تحت إشراف :

أ. دكّار محمد أمين

الموسم الجامعي: 2015– 2016

مقدمة

مقدمة:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أدى قيام الدول العربية المستقلة ونمو مؤسساتها السياسية و الاجتماعية و الثقافية، الى طرح مسألة الخصوصية و العالمية و علاقة العرب المستقبلية بالحداثة، فحثت هذه المسألة بعض المثقفين العرب على ابراز قيم التراث العربي، هذه القيم التي استطاعت أن تتجاوز الحدود الحضارية التي نشأت فيها من جهة ،والحدود التاريخية من جهة أخرى ،وتحافظ على دلالتها ،وأهميتها بالنسبة إلينا وفي الستينيات برزت المسألة الاجتماعية الى طليعة اهتمامات المثقفين و المفكرين العرب، خاصة بعد النجاعات العلمية و الاقتصادية ،والسياسية التي حققها الغرب، ففي هذه المرحلة وجد الفكر العربي نفسه مدعوا الى معالجة مسألة التقدم الاجتماعي و الموروث الثقافي ،وضرورة ايجاد صيغة ملائمة لهذه المعادلة الجديدة، هذه المسألة التي انبرى لها مجموعة كبيرة من المثقفين و الباحثين العرب، فانصرفوا الى تأويل بعض محتوى الثرات الاسلامي تأويلا يتفق مع توجهاتهم التقدمية حيث وجدوا في محتوى هذا الثرات ما يشجع الباحث على الأخذ بأسباب التقدم، والاهتداء بأحكام العقل في التعاطي مع الحضارة الانسانية الحديثة ،فردا و مجتمعا الى جانب هذا التيار الفكري ظهر تيار آخر مواز له ،وهو تيار و عقيدة ،ايديولوجية ليبرالية ومنطلق فلسفي عقلاني بتطور من قبل بعض المفكرين العرب وأهم ما يميز هذا التيار الفكري هو ابراز قيم التقدم الحضاري والفكري، و فصله عن المسألة الاجتماعية فلم يرو ضرورة موضوعية ،للربط الاديولوجي بين الحداثة و الموروث الثقافي على الأقل في مرحلة معينة فكان مفهوم الحداثة أو الطابع التغيري الجذري ،هو العقيدة الفكرية لهؤلاء المفكرين ،ومن أبرزهم زكي نجيب محمد ، بحكم الاطلاع على دراسات عديدة تناولت آراء المفكرين ،والدارسين العرب ولا سيما تلك التي تطرقت بالتدقيق لواقع الفكر العربي الراهن، أمثال محمد آركون وغيرهم الذي حاولوا تبسيط ما أبدعوه في المجال الفكري العربي بحيث حاولنا التركيز على فكر زكي نجيب محمود،وتحديد منزلته في خارطة الفكر العربي الراهن و تلخيص أهم معالم

مشروعه الفكري ومن هنا يحتل وكي نجيب محمد في تاريخنا الفكري المعاصر مكانة كبيرة حيث أن معاركه الفكرية تشكل بنية رئيسية في الفكر العربي المعاصر، فقد اهتم بمشكلة التراث واضعا بذلك يده على الأسباب الحقيقية وهي أن الحل يكمن عندنا لا عند غيرنا، محاولا بهذا القضاء على ما هو لا عقلاني و لا علمي في مجتمعاتنا العربية حاملا لواء الفلسفة الوضعية، لأنها هي الدليل الى تنوير العقول كما سعى الى تجسيد المنهج العلمي في مجتمعنا العربي و قد حاول من خلال منتجاته الفكرية تقديم وجه جديد للفكر العربي من خلال ارساء معالم حضارية جديدة معصرنة، وعدم الخضوع الى سلطان الماضي كي نتعامل مع واقعنا وتراثنا لنتمكن من نقل المجتمع نقلة نوعية تحقق له الصحوة المواكبة لروح العصر .

فهل استطاع زكي نجيب محمود بأفكاره واقتراحاته أن يجد تلك الحلقة الضائعة من عقلنا العربي هذه الحلقة التي نساير من خلالها واقعنا؟ ولماذا نحن ميالون للوجدان أكثر من العقل؟ أو بالأحرى هل يستطيع عقلنا العربي أن يخرجنا من واقعنا بالرجوع الى التراث أو بمسايرته للعصر؟ .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي في دراستنا لتطور فكر زكي نجيب محمود من خلال مؤلفاته ومشروعه الفلسفي.

أما بخصوص دوافع اختيار الموضوع فهي الرغبة في معرفة خبايا الفكر العربي خاصة في شقه الحديث الذي يعتبر زكي نجيب محمود علما من أعلامه هذا الى جانب الازدواجية، الفكرية لهذا الفيلسوف ومحاولة تطرقه لقضية من أهم قضايا عصرنا وهي العلاقة بين الأصالة و المعاصرة هذا الموضوع الذي نجد له ميلا شخصيا ولذلك لغزارة الدراسات التي حاولت معالجة هذا الموضوع لكي نستطيع التخلص من التأثير الفكري للغرب علينا.

وخطة البحث تتكون من ثلاث فصول.

الفصل الأول: **السيرة الذاتية لزكي نجيب محمود** ويتكون الفصل من مبحثين المبحث الأول يعرض سيرة زكي نجيب محمود من نشأة وتعليم ومؤلفاته واسهاماته في الفكر العربي والمبحث الثاني يعرض اتجاهاته الفكرية وآراءه الفلسفية لتبين أطروحاته وقضاياه من خلال تبيين اتجاهين اثنين (الاتجاه الصوفي –الاتجاه الغربي).

أما الفصل الثاني: فجاء تحت عنوان **تجليات التفكير العلمي في الفكر العربي** وقد تضمن مبحثين الأول الوضعية المنطقية عن زكي نجيب محمود حاولنا من خلاله ابراز مدى تأثر زكي نجيب محمود بهذا التيار أما المبحث الثاني: فكان تحت عنوان النظرة العلمية في فكر زكي نجيب محمود هذه النظرة التي ميزت هذا المفكر عن الكثير من المفكرين.

أما الفصل الثالث: فجاء تحت عنوان **الحداثة بين كونية العقل الانساني والخصوصية الثقافية** وقد تضمن مبحثين الأول: ثنائية العقل والوجدان حاولنا من خلاله تجسيد أثر هذه الثنائية في الفكر العربي عامة وعن زكي نجيب محمود خاصة أما المبحث الثاني فكان دراسات نقدية لآراء زكي نجيب محمود الفكرية وهو بمثابة تقييم ما تم رصده وجمعه وعرضه من أفكار زكي نجيب محمود وأخيرا خاتمة فيها أهم النتائج التي وصلنا اليها في هذا البحث.

أما الدراسات التي قدمها الباحثين عن فكر زكي نجيب محمود نجدها تصب معظمها في فكره الوضعي المنطقي مثل كتاب الوضعية المنطقية ونسخة العربية لكساسي أدهم والوضعية المنطقية والتراث العربي لعبد الباسط سيدا ولقد واجهتنا بعض الصعوبات في هذا البحث نذكر منها التغيرات الجذرية التي طرأت على فكر زكي نجيب محمود وصعوبة تحديد اتجاهاته الفلسفية لكن على الرغم من هذا فقد تجوزنا ما استطعنا تجاوزه من أجل اتمام هذا البحث.

الفصل الأول

السيرة الذاتية لزكي نجيب محمود

- سيرة زكي نجيب محمود ومؤلفاته
- اتجاهاته الفكرية وآراءه الفلسفية

المبحث الأول: السيرة الذاتية واهم أعماله

1. السيرة الذاتية:

ولد زكي نجيب محمود في 01 فيفري 1905 بقرية "ميت الخولي عبد الله " بمحافظة "دمياط" في مصر وفي حوالي 05 سنوات من عمره انتقل مع أسرته إلى القاهرة حيث تلقى تعليمه الأولي بمدرسة السلطان مصطفى بالقاهرة.

وفي التاسعة انتقل مع الأسرة إلى الخرطوم بالسودان حيث كان والده موظفا بحكومة السودان وهناك التحق بكلية "غوردون" حيث أمضى مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي وبعدها عاد إلى مصر لينال شهادة الدراسة الثانوية وبعدها التحق بمدرسة المعلمين العليا قسم الآداب ونال منها شهادة الليسانس في الآداب والتربية عام 1930.

ونال أيضا شهادة التفوق الأدبي من وزارة المعارف سنة 1939 وانشغل بالتدريس في التعليم العام حتى سنة 1943 وبعدها قضى الموسم الدراسي (1943-1944) في إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم وفي سنة 1944 أرسل في بعثة إلى انجلترا لينال الدكتوراه[1] في الفلسفة وهناك حصل في سنة 1945 على البكالوريوس الشرفية من الدرجة الأولى في الفلسفة من جامعة لندن وهي درجة تعفي صاحبها من درجة الماجستير فقام بتقديم موضوعه في الدكتور وسجل في كلية الملك (**King collage**)بجامعة لندن وحصل على الدكتوراه سنة 1947 وكان موضوع بحثه الجبر الذاتي وقد طبعت رسالته ثم قام بعملية ترجمتها إلى العربية فيما بعد الدكتور إمام عبد الفتاح إمام .

ثم عاد إلى مصر سنة 1947 التحق بهيئة التدريس في قسم الفلسفة بكلية الآداب بالقاهرة وبعد تقاعده عين في نفس الجامعة أستاذ غير متفرع ومنذ أن تخرج زكي نجيب محمود عام 1930 بدأ مشاركته في الحياة الثقافية مشاركة متواصلة بحيث كانت له مجموعة من المقالات والكتب ساهمت في تغذية الفكر العربي وفي سنة 1934 انضم عضوا في لجنة التأليف والترجمة والنشر واشترك مع الأستاذ أحمد أمين في سلسلة من

[1] زكي نجيب محمود من خزانة أوراقي -دار الهدية للطباعة والنشر، بدون بلد، ط1، 1996ص11

الكتب الفلسفية وسلسلة في تاريخ الآداب وقد كانت له مقالات متتابعة [1] في مجلتي الرسالة والثقافة خلال الثلاثينات والأربعينيات وقد أشرف على تصوير مجلة الثقافة من سنة 1949 إلى سنة 1952 حيث اختير عضوا في لجنتي الفلسفة والشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية منذ إنشائه سنة1956 كما اختير عضوا في لجان ثقافية أخرى منذ ذلك الحين على غرار لجنة التفرع للمشتغلين بالآداب والفن ،ولجنة اختيار المقتضيات الفنية لدولة وفي سنة 1960 نال جائزة الدولة التشجيعية للفلسفة وكان ذلك عن كتابه نحو فلسفة علمية [2].

توفي زكي نجيب محمود يوم 08 سبتمبر 1993 تاركا مجموعة من المؤلفات التي ساهمت في تغذية الفكر العربي.

2. أهم أعماله:

ولوجود ذلك التشابه الكبير بين المؤلفات زكي نجيب محمود الفلسفية والفكرية ولصعوبة الفصل بينهما جاء تصنيفي لمؤلفاته حسب تسلسلها الزمني مع الاستعانة بكتابه من خزانة أوراقي.

1. مؤلفاته الفكرية الفلسفية:

1- أرض الأحلام: طبعة دار الهلال سنة 1939.

2- شكسبير سنة1943

3- جنة العبيط: سنة 1947.

4- قصاصات من زجاج :1947.

5- شروق المغرب: ط1-سنة 1950-ط2، سنة 1983.

6- المنطق الوضعي: وجاء على جزأين: المنطق الصوري والثاني في فلسفة العلم: سنة 1925

[1] زكي نجيب محمود من خزانة أوراقي، المرجع السابق، ص ص11-12.

[2] زكي نجيب محمود من خزانة أوراقي ، المرجع السابق، ص ص11 -12.

7- خرافة الميتافيزيقا: ط1، سنة 1953.

8- الثورة على الأبواب: ط1، سنة1955.

9- أيام في أمريكا: سنة1955.

10- حياة الفكر في العالم الجديد: سنة1956.

11- نظرية المعرفة: سنة1956.

12- دافيد هيوم: سنة1957.

13- نحو فلسفة علمية: سنة1959.

14- الشرق الفنان: سنة1960.

15- برتراند راسل: سنة1961.

16- جابر بن حيان: سنة 1961.

17- قصة نفس: ط1، سنة 1965.

18- تجديد الفكر العربي: ط1: سنة 1970-ط2: سنة 1973.

19- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري: سنة 1975.

20- ثقافتنا في مواجهة العصر سنة1976.

21- في فلسفة النقد، سنة 1979.

22- في حياتنا العقلية: سنة1979.

23- مع الشعراء: ط2، سنة1980.

24- مجتمع جديد أو كارثة: ط1سنة 1983.

25- أفكار ومواقف: ط1، سنة 1983.

26- قصة عقل: سنة1984.

27- في مفترق الطرق، سنة 1985

28- عن الحرية أتحدث: سنة 1986.

29- رؤية اسلامية: سنة 1987.

30- في تحديث الثقافة العربية: سنة 1988.

31- عربي بين ثقافتين: سنة1988.

32- بذور وجذور: ط1، 1990.

33- حصاد السنين: ط1، سنة 1991.

2. كتاباته باللغة الانجليزية :

1- مقالة عن أبي العلاء المعري بمجلة المركز الثقافي البريطاني سنة 1944.

2- ترجمة حوالي 300 بيت شعري للعقاد إلى الانجليزية 1945.

3- رسالة دكتوراه تحت عنوان الجبر الذاتي جامعة لندن 1947.

4- كتاب عن أرض مصر وشعبها نشر في أمريكا سنة 1956.

5- مقال عن الفكر المصري الحديث نشر في لندن.

3. ترجماته:

في الفلسفة:

محاورات أفلاطون –أربع محاورات سنة 1936.

1- الأغنياء والفقراء لـ.ج.ويلز سنة 1937.

2- تاريخ الفلسفة الغربية: لـ براتراند راسل في كتابين: الفلسفة القديمة سنة 1945، الفلسفة الكاثوليكية سنة 1955.

3- المنطق نظرية البحث لـ: جون ديوي سنة 1959.

في النقد الأدبي:

1- فنون الأدب لـ:تشارلتن ،سنة 1944.

2- أثرت الحرية، فكتور كرافشنكو، سنة 1949.

3- قصة الحضارة، ويل ديوراتن وهي ثلاث كتب:

*نشأة الحضارة سنة 1950، *الهند وجيرانها سنة 1950، * اليابان سنة1951.

4. كتب بالاشتراك مع الأستاذ أحمد أمين

1- قصة الفلسفة اليونانية سنة 1935.

2- قصة الفلسفة الحديثة سنة 1936.

3- قصة الأدب في العالم: وهي ثلاث كتب: *-في العصور الوسطى سنة 1943، *-الأدب الحديث سنة 1945، *-في الآداب الغربي والشرقي في القرن 19 سنة 1948.

5. المقالات:

1- مجموعة مقالات نشرها في مجلة الفكر المعاصر المصرية.

2- مجموعة مقالات نشرها في مجلة الكتاب المصرية.

3- مجموعة مقلات نشرها في جريدة الأهرام المصرية.

المبحث الثاني: آراءه وتوجهاته الفكرية.

لقد أخذت أفكار زكي نجيب محمود اتجاهين اثنين يمكن من خلالهما تحديد اتجاهاته الفكرية:

1- الطابع الصوفي الذي عايشه في الوطن العربي.

2- الاتجاه الغربي الذي عايشه في الغرب أثناء إقامته في انجلترا.

1. **الطابع الصوفي**:

كثيرا ما ابتعد زكي نجيب محمود عن دنيا الناس ليلجأ إلى عالم الأفكار وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل حياته التي لا يمكن إغفالها يقول زكي نجيب محمود"إنه جانب لا يجب إغفاله إذا أردنا للصورة أن تكتمل "[1] ولقد صوّر العزلة في مقال له " يونس في جوف الحوت ".

فمن السهل على الخيال أن يتصور الراهب وقد اعتزل الدنيا في صومعته ومن السهل على الخيال أن يتصور رجل علم وقد ألهاه العلم عن الدنيا ومن السهل على الخيال أن يتصور الشاعر أو الفنان وقد ارتضى لنفسه مقاما على ربوة معزولة او في جوف واده أما الصومعة التي أوى إليها يونس فأمرها عجيب [2].

ولم يقتصر زكي نجيب محمود على العزلة فقط بل تخطاها إلى التصوف وهذا ما يتضح جليا في كتابه " قصة عقل "حيث أن مرحلة الثلاثينات كانت من أهم مراحل تفكيره حيث أنه لم يشهد مثلها لا من قبل ولا من بعد.

ولقد كان زكي نجيب محمود صوفيا على الطريقة الهندية حيث أن مشاعره كانت متأرجحة بين تحمس العلم مرة وشك في حضارة عصرنا العلمية مرة أخرى ويقال عن هذا النوع

---

[1]زكي نجيب محمود، حصاد السنين ، دار الشروق ،القاهرة ،دون سنة،دط ،ص13.

[2]إمام عبد الفتاح إمام ،رحلة في فكر زكي نجيب المجلس الأعلى للثقافة ، دون بلد ،2001،دط ،ص21.

*-وحدة الوجود : هي كل شيء يرد إلى الله فهو الموجود الحق ولاموجود سواه ،وكل ما عاداه أعراض ومظاهر لوجوده أومجرد فوضويات مستمدة منه لابراهيم مذكور المعجم الفلسفي –الهيئة العامة. لشؤون المطابع،القاهرة ،1983، ص212

من التصوف أنه يقترب من "وحدة الوجود"* حيث ان الوجود كله واحد لا تمايز بين أجزائه إلا بما تدركه الحواس ظاهريا وكثيرا ما ضرب أمثلة بصدد ذلك فالنبات يتغذى من الأرض والحيوان يتغذى من النبات والإنسان يتغذى من الحيوان فالوجود كله متكامل وكل جزء منه يكمل الجزء الذي قبله.

ولقد كانت وحدة الوجود بمثابة الهاجس الذي كان يراوده بل لزمه طول فترة حياته وبعد ذلك قام زكي نجيب محمود بكتابة مقال حوله تحت عنوان "التصوف "حيث اعتبر من أجمل الكتابات التي عبّرت عن وحدة الوجود[1].

لعل الطابع الديني كان ملازما لزكي نجيب محمود طول فترات حياته وإن غاب هذا الطابع لفترات من حياته أي أثناء إقامته في أوروبا حيث رأى حاجة المجتمع العربي إلى ضرورة الاهتمام بالعقل، هذا الأخير الذي هو سر الحضارة والذي اختفى من ثقافتنا حسب زكي نجيب محمود بسبب سيطرة المشاعر الدينية من هنا نجد المشاعر الدينية لم تختفي من حياته بل سكنت قليلا وفي هذا السياق كتب زكي نجيب محمود مقالا عن هجرة الروح ولقد قام بكتابة هذا المقال بالتزامن مع الهجرة النبوية الشريفة قدم فيه معنى جديد للهجرة وهي هجرة الخرافات العقلية .

ولقد حاول من خلال هذا المقال البرهنة على خلود الروح ورغبة الانسان في الخلود وهذه الرغبة مستمدة حسبه من أعماق الانسان.

وبعدها حاول التعرض للتركيبة الانسانية ويقول بهذا الصدد " فأما المادة فاهي هذا اللحم وأما الروح فهي تلك الفكر الرائع والخيال البارع وتلك الحركة المتوثبة الدافعة حتى إذا جاءك يوما قضاؤك المحتوم انطلق كل من العنصرين إلى سبيله فأنى السر المكنون وأيان يذهب بعد الموت "[2] ، ولقد حاول تبيين مسار الروح باعتبارها كانت تعيش أول الأمر مطلقة عند بارئها ثم نزلت الى الجسم لتسكن وتستقر فيه ومعنى هذا أن الحواس عاجزة عن

[1]زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، دار الشروق ،القاهرة ،ط1، 1988،ص17،ص18.

[2]المصدر نفسه،ص197.

إدراك الروح وتحديد مكانها ولكن هناك سبيل آخر يقودنا إليها هذا السبيل لا يمكن إنكاره أو تجاهله فالذين يزعمون أنه لا يوجد ظواهر من غير تفسير علمي لها فهؤلاء حسب زكي نجيب محمود إذا لم يستطيعوا تفسير ظاهرة ما تفسيرا علميا يقولون بأنه سيأتي يوم يستطيع العلم فيه تفسير هذه الظاهرة وعليه فإن النزعة الصوفية من أهم ما ميز المراحل الأولى من تفكير زكي نجيب محمود.

2. الاتجاه الغربي:

تخلى زكي نجيب محمود عن هذا الاتجاه الديني واستبدله بآخر غربي حديث حاول من خلاله تحليل الواقع المعاش بعيدا عن تلك النفحات الدينية معتمدا في ذلك على ملكة العقل حتى اتسم فكره الجديد بنوع من الجفاف والقسوة[1]، وهذه المرحلة الثانية التي وصفها بقوله " هي مرحلة استيقظ فيها الوعي عندي حادّا قويّا "[2] وهذه المرحلة الثانية من فكر زكي نجيب محمود يمكن تصنيفها في مجالين اثنين هما مجال الحياة الاجتماعية ومجال النظرة العلمية.

أ/ المجال الأول: بالنظر إلى التخلف الذي كان يعيشه الوسط الاجتماعي لزكي نجيب محمود الذي قام بنقد هذه الحياة الاجتماعية فالحركة الجديدة المتنامية تفرض علينا حسب زكي نجيب محمود ان لا نجعل ماض الحضارة الإسلامية المزدهر خلفنا بل إن موقعه الحقيقي هو المستقبل هذا ما دفع زكي نجيب محمود إلى تشريح العقل العربي عن طريق الأخذ بالمناهج العلمية من جهة ومن جهة أخرى محاولة محاكاة الثقافات الغربية لأنها حسبه منبر للصنع الحضاري.

ب/ المجال الثاني: النظرة العلمية.

دعا من خلاله إلى استخدام العقل العلمي في جميع مجالات الحياة الاجتماعية هذا العقل العلمي الذي طالما ما افتقدته المجتمعات العربية من هنا كان مسار فكر زكي نجيب محمود على خطين متوازيي الدعوة إلى مسايرة ثقافة العصر والأخذ بالمناهج التجريبية

[1] إمام عبد الفتاح إمام .رحلة في فكر زكي نجيب ، المرجع السابق ،ص41.

[2] زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، المصدر السابق ،ص68.

،فالطبيعة العربية ميالة دوما نحو ذلك النوع من دفء الوجدان ورهافة المشاعر الأمر الذي جعل من زكي نجيب محمود مما يأخذ على عاتقه بتبني ذلك العقل العلمي يقول "أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه ولا على الناس شيئا وعندي ان الأمة تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه "[1].

لذلك كان زكي نجيب محمود غالبا ما يقف في صف المدرسة التحليلية والشعب التجريبية المعاصرة فهو يرى ان عمل الفيلسوف هو تحليل الفكر الانساني فالفيلسوف لا يقدم آراء إنما وظيفته تحليل الآراء وهذه الآراء التي لا يستطيع أن يقدمها إلا العلماء بحكم ما يملكون أدوات بحث لذلك غالبا ما يكون العالم فيلسوف علمه .[2]

لذلك اخذ زكي نجيب محمود على عاتقه الاهتمام بالعلم لأنه ضرورة في حياة الانسان المعاصر لذلك فإن المنهج العلمي هو السبيل لفهم العالم بظواهره الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية ولم يكتف زكي نجيب محمود بنقل هذا المنهج فقط والترويج له بل تعدّاه الى جعله طريقة تفكير ولم يقتصر هنا على النموذج الغربي بل اعتمد على بعض الفلاسفة المسلمين على غرار ابن الهيثم ، ابن سينا ،ابن رشد ليؤكد أن نهضة العرب العلمية يوجد لها ركائز يمكن الاعتماد عليها لبناء نهضة جديدة لابد لها أن تساير العلم والمنطق .

ونظرا لطبيعة الفكر العربي التي تمتاز باللاعقلانية بسبب ما نجم عن عصور الاضطهاد والتخلف كان لابد من إشاعة الفكر العقلاني هذا الأخير الذي كان زكي نجيب محمود أحد رواده من خلال اسهاماته الفكرية والأفكار التي حملتها كتبه ، فنحن حسب زكي نجيب محمود إذا استطعنا تحديد طبيعة مدركاتنا الحسية على اختلافها استطعنا أن نحل مشكلات لطالما حيرت الفلاسفة والعلماء ،يقول زكي نجيب محمود" فهذه-مثلا- برتقالة أدركها لونا وطعما ورائحة ولمسا فما عساها في حقيقة أمرها أن تكون "[3]، فتحديد طبيعة الحواس هو الذي يقودنا إلى فهم العالم وتحليله فاختلاف المذاهب الفلسفية ناجم عن

[1]زكي نجيب محمود ،المنطق الوضعي ،مكتبة الأنجلو-مصرية ، القاهرة ، ط1 ،1966،ص 43.

[2]زكي نجيب محمود، قشور ولباب ، دار الشروق ،القاهرة ،د.ط ،ص8.بتصرف.

[3]المصدر نفسه،ص188.

الاختلاف في تحديد المدرك الحسي وطبيعته فجميع الموجودات ما هي إلا معطياتها الحسية فبجمعنا للمعطيات الحسية دفعة واحدة نستطيع تحديد طبيعة الشيء المدرك .

ومن هنا كانت دعوة زكي نجيب محمود للنظرة العلمية والحياة العلمية والتخطيط العلمي هذا هو الذي يقودنا نحو ثقافة عربية معاصرة تحمل موضوعات العصر واهتماماته إلا أن هذه الثقافة المعاصرة يجب أن لا تخلو من قيم أسلافنا لكي نحقق بها معاصرة لواقعنا وطابع قومي لنستطيع الجمع بين خصوصية التاريخ وعمومية الحياة العصرية بين سائر الأقوام أي أن هذه النظرة العلمية هي بمثابة حلقة وصل بين تراثنا وواقعنا وهذا ما يدفعنا بين تراثنا وواقعنا وهذا ما يدفعنا إلى تطبيق هذه النظرة العلمية بدلا من الاكتفاء بالترويج لها في قراءة زكي نجيب محمود لكتاب "الياقوتة من العقد الفريد"لــ"ابن عبد ربه "خرج بعدة انطباعات منها " لا معرفة مما يسمى علما إلا إذا بدأت بتجربة الحواس أي بالضرورة أن ترى بالعلم شيئا وأن تسمع بالأذن شيئا وبعبارة أخرى فإن العلم لا ينبثق من باطن الانسان "[1].

ومعنى هذا أن أداة العلم هي الحواس هذا ما يجعل الباحث يسعى إلى معامل التجربة العلمية واختبار كل ما حوله وإخضاعه لسلطة العلم وهذه المعرفة العلمية هي التي تدفعك إلى تطبيقها عل أرض الواقع لأنها هي الأساس لكل عمل ولا تبقى حبيسة الذهن والتأمل والتجريد .

من هنا يتضح جليا أن الثقافة الغربية كان محل إعجاب عند زكي نجيب محمود لأنها بنت نفسها على الطابع العلمي الذي يأخذ مصداقيته من الحواس حيث أن الأخذ بالعلم والفلسفة الملازمة له هما عماد الوجود حيث أن هذه الفلسفة الوضعية يجب أن تكون اتجاه حياة لذلك كان يرى بضرورة الأخذ بالحضارة الغربية لمسايرة العصر الحاضر في نشاطه الفكري [2].

[1]زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، د.ط، 1971،ص334.

[2]زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، المصدر المذكور سابقا السابق ،ص75.

لأن الفكر المعاصر قائم على أساس العلم " العلم التجريبي وما سيتبعه من مناهج البحث والنظر والفلسفة التي نشأت من ذلك الاتجاه العلمي وهي الفلسفة التي جرى الاصطلاح أن يسميها الفلسفة الوضعية "[1]،هذه الفلسفة الوضعية التي لطالما كانت مميزة لـفكر زكي نجيب محمود إلا أنه بعد ذلك وجه اهتمامه نحو أمتنا العربية وبدأ بالتخلي عن التيارات الفكرية الغربية أصبح ينادي بدراسة تراثنا العربي الاسلامي لكي نحقق فكر بطابع عربي أصيل ولعل ما دفع زكي نجيب محمود العودة إلى دراسة التراث العربي هو ان الفلسفة العلمية لم يجد رواجا في وسط زكي نجيب محمود العربي هذا الوسط العربي الذي طالما قابل أفكاره بنوع من التحفظ لأنه وبعد تطوره الفكري اكتشف أن الحضارة تختلف عن غيرها من الحضارات لأنها أرست قواعدها على أساس الأخلاق وليست كغيرها من الحضارات التي جعلت أساسها العلم أو الفن ...إلخ. لذلك يرى زكي نجيب محمود أن هذه القيم هي المميزة لحضارتنا الإسلامية وهي التي تقودنا للتخلص من واقعنا الراهن بهد إضفاء الصيغة المعاصرة عليها لذلك قام باصطناع منهج جديد مخالفا لمنهجه الأول وهذا المنهج هو البحث في الموروث الثقافي الإسلامي الذي يمكن من خلاله رسم حياة مثلى يكون فيها العمل مرافقا للأمل وهما بمثابة خطين متوازيين يسيران بجنب لذلك كان موروثنا الثقافي كنز بكل ما تحمله الكلمة ،لا ينبغي التفريط فيه بل يجب العمل به ولاستفادة من تجارب الآباء بدلا من الاكتفاء بذكره و التحصر على زمنه وأهله.

لقد وجد زكي نجيب محمود في التراث العربي ميزة العقل حيث رأى أن العربي القديم كان يستند إلى العقل في نظرته للعالم وحتى علماء اللغة سعوا إلى استعمال العقل في وضع قواعد اللغة وبالنظر إلى التراث الفكري الإسلامي نجد أن الكثير من الفرق الاسلامية على غرار " المعتزلة " الذين كانوا يمتازون بالطابع العقلي.

إن انتقال زكي نجيب محمود من الفكر الغربي إلى البحث في التراث لا يعني أنه تخلى عن الفكر الغربي كاملا وإنما أراد وضع مزاوجة بين الفكر الغربي والتراث العربي وهذه من اهم المراحل التي مرّ بها فكر زكي نجيب محمود لأن مسألة الجمع بين موروثنا الثقافي

[1]السيد ولد أباه ،أعلام الفكر العربي ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت ،2010،ط1،ص53.

الذي يعبر عن أصالتنا وهويتنا وبين حياتنا الفكرية المعاصرة من أكبر المسائل التي طالما شغلت المفكرين العرب ولعل هذه المرحلة مثلت مرحلة توازن في فكر زكي نجيب محمود لأن نظرته إلى الموروث الثقافي العربي كانت يطبعها نوع من السلبية "بدأت بتعصب شديد لإجابة تقول أنه لا أمل لحياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترا وعشنا مع من يعيشون علما وحضارة وجهة نظر إلى الإنسان والعالم "[1].

ومن هنا نجد أنه اعترف بأنه كان مبالغا في دعوته للتخلي عن التراث من أجل معايشة العصر بل يجب الموازنة بين الأصيل والمعاصر أي خلق تركيبة عضوية تجمع بين التراث والحضارة العصرية"[2].

لذلك فالمتتبع للمراحل الفكرية التي مرّ بها بفكر زكي نجيب محمود يجد هناك عدة تطورات حيث أنه لم يلبث على فكرة واحدة وإنما اختلفت أفكاره فأولا كانت له نزعة صوفية لا يمكن تجاهلها عند قيامه بشرح عيّنة "ابن سينا " ثمّ قدّم بعد ذلك أطروحته للدكتوراه بعنوان " الجبر الذاتي" حاول من خلالها التكلم عن الحرية بطريقة ميتافيزيقية إلا أن فكره تغير بشكل كبير عندما بدأ هجومه عل الميتافيزيقا ودعا إلى الابتعاد عنها.

وهذا ما يتضح في كتابه "خرافة الميتافيزيقا" وقد أنكر الميتافيزيقا التي هي بمثابة"مجموعة من العبارات التي تحتوي على كلمات لا ترمز لشيء ونلاحظ وجود نوع من التناقض في فكر زكي نجيب محمود فبعدما تحدث عن النفس في شرحه لعينة ابن سينا نجده يتنكر لهذه النفس المجردة بعدما تبنى الوضعية المنطقية هذه الأخيرة تنفي كل ما هو غير محسوس حيث ظهر متحمّسا للفكر الوضعي حيث أنه كان يرفض كل شيء غير خاضع للحواس فلذلك كان يرى أن على الفيلسوف الابتعاد عن العلوم وتركها لأصحابها بل يجب على الفيلسوف أن يهتم فقط بالتعليل اللغوي لأن مهمته الجديدة هي توضيح العبارات وتحديد هذا لمهمة الفلسفة ناجم عن ما يحدث في العالم الغربي من

[1]زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، المصدر السابق، ص13.

[2]أسامة علي الموسى ، مفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والتعريب والنشر ،الكويت ،ط1 1997 ،ص161.

صراع بين الفلسفة والعلم على أساس ان العلم وصل إلى قيمة يستطيع من خلالها أن يتطور على هذا الأساس تبنّى زكي نجيب محمود الوضعية المنطقية الغربية وتطبيقها في المجتمعات العربية "[1] باعتبار أن الفكر الغربي فكرا رائدا وهنا اصطدم زكي نجيب محمود بواقعه العربي الذي لايزال يعتمد بنسبة كبيرة على العقيدة أكثر من اعتماده على العلم [2] لأنه عندما تبنى الوضعية المنطقية كان منبهرا بها أكثر منه باحثا فيها فأخذها على ما هي عليه دون الالتفات بأن البيئة العربية مختلف عن البيئة الغربية لأن زكي نجيب محمود كان ينبهر إلى حد التطرف بكل ما هو جديد لأنه رأى أن تطور حياتنا الفكرية يكون عن طريق الأفكار الجديدة فربما تبني الوضعية المنطقية باعتبارها شيء جديد على المجتمعات العربية .

لقد رأى الكثيرون ومنهم "علي حسن الموسى " في كتابه " المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود" أن تبنيه للوضعية المنطقية في تلك الحقبة الزمنية لم يحقق النتيجة المرجوة أنها قوبلت بالرفض في الأوساط العربية وحتى الطبقة المثقفة لأن مبادئ الوضعية المنطقية لم تتوافق والقيم الاجتماعية العربية لأن البنية الاجتماعية العربية ترتبط بالقيم الدينية الأخلاقية التي كانت سائدة آنذاك ولذلك لم يستطع الفكر الوضعي المنطقي أن يجد لنفسه مكانا في الوسط العربي في ظل تغاضيه عن القيم الدينية والأخلاقية لذلك لم يتجاوب معها الناس .[3]

أما الإمام عبد الفتاح إمام فيرى أن زكي نجيب محمود" لم يكتنف الوضعية المنطقية مذهبا وإنما وضّفها لصالح الفكر التنويري "[4] ،فهدف زكي نجيب محمود من اتباع الوضعية المنطقية هو تنوير الفكر العربي وإخراجه من الأزمة الفكرية التي كانت تعيشها الثقافة العربية .

---

[1]أسامة علي حسن موسى ، مفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود، المرجع السابق ،ص140.

[2]مرجع السابق نفسه ،ص140.

[3]المرجع السابق نفسه ،ص141.

[4]إمام عبد الفتاح إمام .رحلة في فكر زكي نجيب، المرجع السابق ،ص141.

ثم جاءت مرحلة انتقالية جديدة في فكر زكي نجيب محمود وذلك في الستينيات من عمره عندما انكب على دراسة التراث في سفره إلى الكويت حيث أصبح يجمع بين العقل والوجدان أو بالأحرى الأصالة والمعاصرة فرأى أنه السبيل الوحيد للخروج بفكرنا العربي من ازمته فتقدمنا مرهون بمدى بحثنا وتدقيقنا في تراثنا الموروث لكي نستفيد ممّا وصل إليه أسلافنا من أجل مسايرة واقعنا لكن دون التفريط في هويتنا وقوميتنا.

الفصل الثاني

تجليات التفكير العلمي في الفكر العربي

- الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود
- النظرة العلمية في فكر زكي نجيب محمود

المبحث الأول: الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود

مرّ زكي نجيب محمود بمراحل مختلفة أثناء تطوره الفكري عند إقامته ببريطانيا امتاز فكره بالعلمية الغربية حيث دعا إلى الأخذ بالثقافة الغربية وجعل من الفكر الغربي هو العصر وصانع حضارة العصر الحديث [1].

يرى زكي نجيب محمود أنه إذا ما أرادت الثقافة العربية النهوض يجب عليها الاعتماد عل إمكانيات الغرب والتي كانت تتميز بالنظرة العلمية وكان زكي نجيب محمود شديد التطرّف في دعوته إلى الوقفة الفلسفية العلمية في كل ما كتبه سواء كان في كتاباته الفلسفية عن الشرح والتوضيح أو في كتاباته غير الفلسفية كالنقد الأدبي ، حيث كان ينظر إليها بمنظار الوضعية المنطقية بكل دقة في صياغته اللفظية بكل ما تتطلبه الوقفة الفلسفية اتجاه اللغة ،كتابة وقراءة [2] باعتبار أن طابع العصر الفكري الذي كان يعيشه هو العلم التجريبي الذي نشأت منه الفلسفة الوضعية باتخاذها للعلم التجريبي منهاجا لبحثها وجعل من الحواس مصدرا للصدق [3].

لم تنحصر الوضعية المنطقية في حدود العالم الغربي بل أثارت اهتمامك الباحثين والمشتغلين بالفلسفة في العالم العربي ووجدت لها أنصار في العالم العربي ومن بينهم زكي نجيب محمود الذي يعتبر من أبرز ممثلي هذه المدرسة الفلسفية في الفكر العربي المعاصر من خلال إيمانه بمبادئها النظرية ومحاولة تطبيق هذه الفلسفة على الواقع الاجتماعي فقد جعل زكي نجيب محمود الوضعية المنطقية نبراسا هاديا محاولا في هذا إعطاء الصياغة اللفظية لها من خلال تبيان المعنى إلى لفظين وهي كلمة "الوضعية " فقد كانت قبل ذلك وحدها اسما على المذهب الفلسفي بلغة قمة ازدهارها في فرنسا و في أواسط القرن 19م على يد "أودغست كونت".

---

[1] زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، المصدر السابق ،ص62.

[2] نفسه ،ص92،ص93.

[3] زكي نجيب محمود، قشور ولباب ،. المصدر السابق ،ص119.

وتقتضي النظرة العلمية الحديثة أن تنحصر رؤية الباحث على حدود ما هو واقع أي في حدود ما هو ظاهر للحواس وأدوات التجربة حيث اعتبر "أودغست كونت" حسب زكي نجيب محمود أن الظواهر الطبيعية هي وحدها النظر العلمي باعتبار أن العوامل التي تحلل بها لحوادث تلك الظواهر المأخوذة من التجربة البشرية أي داخل حدود ما هو واقع [1] هذا في ما يخص معنى الوضعية ، أما لفظة "المنطقية " يقصد بها زكي نجيب محمود أنه إذا ما وجدنا نظرة غامضة في الظواهر الطبيعية ، هذا وحده يكفي لمعرفة الصواب والخطأ فيما يقال على تلك الظواهر استنادا لبناء لفظي وللاحتكام أيضا لمنق اللغو ودلالتها التي من خلالهما يمكن الحكم على العبارة أنها مقبولة لكونها ذات معنى يستحق البحث أو العبارة التي لا معنى لها ، فهي عبارة مرفوضة وبالتالي فهي ليست جديرة بمراجعتها على الطبيعة وعلى هذا الأساس يتبين أن الوضعية المنطقية ليست مذهبا بقدر ما هي منهج يرسم للباحث خطواته التي تضمن له السير السليم .[2] الذي يصب في مجال التفكير العلمي وقد جعل زكي نجيب محمود العقل والمنطق أدوات الهام بإتباع المنهج العلمي والمنطقي السليم من أجل فهم الظواهر الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية من خلال محاولته لنشر هذا الفكر العلمي والتأكيد على أهميته[3].

وقد أصبح العلم له سيادة في عصرنا الحديث وشملت النظرة العلمية للحياة الانسانية في شتى جوانبها ، بعدما كانت الفلسفة قد لبثت خلال عصور طويلة مجردة خادمة للدين ولم يقتصر الأمر في الاعتماد على النتائج العلمية التي كان ينتهي إليها العلماء وما أدت إليه تلك النتائج من تغير في أوضاع الحياة وإنما أصبح عامة الناس يعتمدون على العلم والعلماء من أجل إيجاد حلول لمشاكلهم المختلفة وولوج الناس إلى الدراسة العلمية ،وقد كان هذا التحول ناتج عن تحول وجه الحياة ككل وذلك إثر الثورة الصناعية ولواحقها ، فبعدما كان اعتماد الناس على الزراعة في الأرياف انتقلوا إلى المدينة فأصبحوا صنّاعا

[1] زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، المصدر السابق ،ص93.

[2] نفسه،ص92.

[3] زكي نجيب محمود ، نافذة على فلسفة العصر مقالات عن الفلاسفة نشرت بمجلة العربي ، كتاب العربي ،1996، ص6،ص7.

وزاد اهتمامهم بالموارد الطبيعية وطرق استخدامها واستغلالها فكان لابد من تغير أساسي شامل لأنظار الناس مما انعكس على تغير في مذاهب الفلسفة ومناهجها [1] المواضيع التي تهتم بها الوضعية المنطقية أو التي تحاول التركيز عليها حسب زكي نجيب محمود هو الواقع الحسي المباشر الذي يمثل مدى صحة اختبارات ولهذا يرى أنه لا وجود موضعي للكلي والعام بحيث إذا لم يكن للفظة المفيدة "رصيد" بين الكائنات الدنيا الخارجية التي نراها بالعين ونلمسها بالأصابع وجب تغليفها على سبيل العبارة مجهولة الدلالة فهو مركب ناقص لم يكتمل له كيان الفكرة التي يجوز قبولها أو رفضها فالقبول والرفض معا مرهونان باكتمال الفكرة أول حسب زكي نجيب محمود ، فالقبول والرفض مرهونان بضمان وجود أفراد فاعلين يشير إليهم الاسم المعين [2].

لقد اهتم زكي نجيب محمود بهذا التيار عندما صرّح بقوله :" ولما كان المذهب الوضعي هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية كما يفهمه العلماء الذي يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم فقد أخذت به أخذ الواثق بالصدق دعواه ، وطفقت الأنظار بمنظاره إلى شتى الدراسات فأمحو منه ما يقتضي مبادئ المذهب أن يمحوه كالهرة التي أكلت بنيها جعلت الميتافيزيقا أول صيدي جعلتها أول ما أننظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية لأجدها كلاما فارغا لا يرتفع إلا أن يكون كذبا لأن ما يوصف بالكذب كلام يتصوره العقل ولكن تدحضه التجربة اما هذه فكلامهما كله هو من قابيل قولنا الصفحات يغير مدلول دائما وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل منطقي ليكشف عن هذه الحقيقة فيها "[3].

إذن مهمة الوضعية المنطقية هي :" توضح المفاهيم التي تقع عند الناس بين الجهل التام والعلم التام ، بمعنى أنها مفاهيم يتداولها الناس وهم على بعض العلم بها فلاهم يجهلونها كل الجهل ولا هم يعلمونها كل العلم فتتناولها الفلسفة بالتحليل والتوضيح لعلها تبلغ من معانيها مبلغ التحديد الدقيق الحاسم .... وهاهنا يكون عمل الفلسفة أن تدنو بنا من تلك المفاهيم لتراها في تفصيلاتها ودقائقها"[4] .

---

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد ، مطابع الشروق ،بيروت ،ط1، 1956،ص112.
[2] نفسه، ص 137

[3] زكي نجيب محمود، قشور ولباب ،. المصدر السابق ،ص160،ص161.

[4] زكي نجيب محمود، في حياتنا العقلية ، دار الشروق ،ط1، 1999،ص65.

يتبين لنا من خلال هذا بأنه لابد من تحليل المفاهيم التي يستعملها الناس سواء كانوا على علم بها أو يجهلونها وذلك باستخدام التقنيات اللغوية والمنطقية وبذلك تستطيع اكتشاف المفاهيم الدقيقة .

قد قامت الفلسفة الوضعية عند زكي نجيب محمود على أساس المنطق الوضعي وكانت الأفكار امتداد للوضعية المنطقية الغربية[1] .

لقد كان زكي نجيب محمود يرفض كل ماهو ميتافيزيقي لما رأى فيها من كلام فارغ ولا معنى له معتمدا لذلك على الوضعية المنطقية وكل ما هو مرتبط بالعلم والتحليل للوصول إلى الحقيقة كما ذهب زكي نجيب محمود في مرحلة من مراحل تطوره الفكري إلى ضرورة بتر التراث بترا من أجل استرجاع الأمل في عيش حياة فكرية معاصرة [2].

وعلى هذا الأساس يتبين موقف زكي نجيب محمود من الميتافيزيقا فبعدما كانت لديه نظرة ميتافيزيقية في شبابه عندما تحدث عن النفس في رسالته " الجبر الذاتي " إلا أن نظرته تغيرت عند تبنّيه للفلسفة الوضعية والتي كانت امتداد للوضعية المنطقية الغربية وهذا ما نلتمسه في كتابه "موقف من الميتافيزيقا"

لقد رفض زكي نجيب محمود جميع الموضوعات الميتافيزيقا لأن قضاياها ليست ذات معنى لعدم وجود ما يقابلها في الخارج فقد رأى أسامة على حسن موسى في كتابه "مفارقات منهجية" في فكر زكي نجيب محمود بأن الوضعية المنطقية بشكل عام ترى أن المعرفة تقتصر على ما تم إدراكه إدراكا حسيا مباشرا أي يتعلق بالمعرفة العلمية المباشرة بالمفهوم الوضعي المنطقي [3].

فالمشكلات الفلسفية حسب زكي نجيب محمود جاءت عن طريق الاستعمال غير الصحيح للألفاظ والعبارات من طرف الفلاسفة والتي أدت إلى ظهور عبارات ليس لها معنى ومفهوم

---

[1]أسامة علي حسن موسى، مفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود، المرجع السابق،ص91.

[2]زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، بيروت ،ط1، 1981،ص13.

[3]المرجع نفسه ، ص92

،فالميتافيزيقا المرفوضة هي مجموعة العبارات التي تتحدث عن الكائنات لا تقع تحت الحس .

ومن هنا تبين لنا وفق ما قاله زكي نجيب محمود بأن تخلى عن كل ما لا يقع تحت الحس من العبارات التي ليس لها معنى ولا مفهوم فهي بذلك تنبني ضمن الميتافيزيقا المرفوضة باعتبار هذه الأخيرة هي مجموعة العبارات التي تكلم عن الكائنات لا تنطوي تحت ميدان الحس ، وعليه فإن المقصود الرئيسي لهذا المضمون هو التخلي عن كل ما لا يقع تحت الحس بحيث رأي زكي نجيب محمود ان الميتافيزيقا مستحيلة لأن فيها اجتماع نقيضان أحدهما أنني قبلت هذه الخبرية على أساس أنها يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب (لأن ذلك هو تعريف القضية) والنقيض الآخر هو أن هذه الجملة يمكن أن نجد وسيلة لتصديقها أو تكذيبها [1].

إذن إذا أردنا تبسيط هذه العبارة نقول بأن زكي نجيب محمود سلم لاستحالة المنطقية الميتافيزيقيا من منظور أنها تحتوي على نقيضين ويوضح ذلك في أن قبول الجملة الخبرية يكون على أساس التصديق أو التكذيب أما في ما يخص النقيض الآخر الذي رآه زكي نجيب محمود في مبنى استحالة الميتافيزيقا هو أن الجملة لا يمكن أن نجد وسيلة لتصديقها أو تكذيبها [2]، ولم يكتفي زكي نجيب محمود بجعل الميتافيزيقا ليست ذا معنى فقط دائما كان هدفه الأساسي هو حذف الميتافيزيقا وحدد هذا في قوله :"معنى العبارة هو نفسه طريقة تحقيقها فإذا لم نجد لتحقيقها طريقة كانت عبارة بغير معنى فهذا التناقض مبدؤنا الذي نحذف على أساسه العبارة الميتافيزيقية كلها لأننا نلتمس طريقة لتحقيق هذه العبارة فلا نجد "[3].

---

[1]، زكي جيب محمود ، **موقف من الميتافيزيقا** ، دار الشروق ، بدون بلد ط4 ، 1993ص91،ص92.

[2] نفسه ،ص92.

[3]زكي نجيب محمود، نحو الفلسفة العلمية ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ط2، 1980،ص244.

ويضيف قائلا :" والميتافيزيقا على رأس هذه الأنظمة الفكرية التي قوامها العبث والوهم والتي مصيرها إلى الزوال المحتوم إذن ما مكن للوضعية المنطقية من الذيوع"[1].

والآن الكلام الميتافيزيقي فارغ لا يحمل معنى "فالتعريف الجملة الميتافيزيقية هو أنها عبارة يراد بها أن تعبر عن القضية الحقيقية لكنها في حقيقة أمرها لا هي بمعبرة عن التحصيل الحاصل ولا عن فرض تحققه التجربة ولما كانت تحصيلات الحاصلة والفروض التجريبية تستنقذ القضايا ذات المعنى كان لنا ما يبرر التأكيد بأن ما تقوله الميتافيزيقا خال من المعنى "[2].

فالميتافيزيقا مجرد كلام فارغ لا يبين الصورة ولا يعطي أي معنى وبالتالي لا يجوز فيه البحث واختلاف الرأي وقد رأى زكي نجيب محمود أن إذا ما أردنا البحث عن كلام له معنى يجب الابتعاد كل البعد عن الفلسفة التأملية التي تعتبر أحد الأبحاث الميتافيزيقية بل ويجب الابتعاد عن كل تفكير متعلق بها والبقاء في دائرة العلم سواء العلوم الطبيعية والرياضية [3].

[1]زكي نجيب محمود، قشور ولباب ،. المصدر السابق ،ص160.

[2]زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا ، المصدر السابق ،ص81.

[3]المصدر نفسه ،ص3.

المبحث الثاني:

الخطاب العلمي في فكر زكي نجيب محمود

يجمع معظم المهتمين بتطور فكر زكي نجيب محمود أن حياته الفكرية تنقسم إلى مراحل تكاد تكون كل مرحلة منها نقيضا للآخرى، فهناك من قسمها إلى خمسة مراحل مثل عزمي اسلام وهناك من قسمها إلى مرحلتين، مثل حسن حنفي وهناك من قسمها إلى ثلاث مراحل إمام عبد الفتاح إمام ورغم كل هذه التقسيمات فإن خطاب زكي نجيب محمود الفلسفي في كل مراحل حياته الفكرية، ثنائية كانت أو ثلاثية هو خطاب حداثي لذلك جاء تناوله لمسألة الحداثة من زاوية الفلسفة الوضعية التي يعد زكي نجيب محمود من أبرز ممثليها في الفكر العربي المعاصر، سواء كان ذلك على صعيد الاعتقاد النظري بمبادئ هذه الفلسفة أو على صعيد التطبيق العملي لها في دراسات تتعلق بمشكلات واقعنا التاريخي الراهن وشروط تخلّفه ويشير معظم النقاد أن زكي نجيب محمود اهتم منذ مراحل تدريسه الجامعي الأولى بالوضعية المنطقية، في الفلسفة بصورة عامة والمنطق الوضعي منها بصورة خاصة فقد درس المنطق من زاوية الوضعية المنطقية منذ سنة 1947 في جامعة القاهرة وألف سنة 1951 الجزء الأول من كتاب المنطق الوضعي [1] .

وهو الاهتمام الذي أدى به إلى تبني مفهوم خاص حول المنطق لخصه في صيغة موجزة مفادها أن النظرية المنطقية تختلف باختلاف الأساس الذي ينبني عليه العلم في العصر المعين فكلما غير العلم، من أساسه تغيرت معه نظرية المنطق وذلك ان المطق إن هو إلا تحليل لمفاهيم العلم وطرائقه تحليلا يبرز صورها فقد كان العلم عند اليونان قائما على فلسفة بعينها في الوجود وجاء المنطق الآرسطي صورة دقيقة له.

فإذا كان العلم المعاصر يقوم على أساس مختلف عن العلم عند اليونان، تحتم أن تغير النظرية المنطقية تبعا لذلك فلا يجب أن يتغير العلم ويبقى رجال الفلسفة بمنطق لا يساير هذا العلم لأننا ننتمي إلى موقف غريب، وهو أن يكون العلماء ببحوثهم في واد ورجال الفلسفة

[1] إمام عبد الفتاح إمام . زكي نجيب محمود في جامعة الكويت خمس سنوات خصبة في حياة الفيلسوف ، مجلة عالم الفكر المجلد السابع والعشرون ، العدد الثالث ، جانفي-مارس 1999،ص154.

في واد آخر حيث يصبح ما يسمى بالمنهج العلمي شيئا غريبا على مسامع العلماء أنفسهم فإذا أردنا وحدة ثقافية متسقة الجوانب وجب مراجعة نظرتنا لمسائل المنطق ومناهج البحث .[1]

وهذا يدل على أن زكي نجيب محمود إنما اتخذ هذا المذهب إيمانا منه أنه أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية [2] ولذلك اتخذه أداة للتحليل والنظر في مختلف القضايا التي تطرحها مستجدات الحياة لذلك جاءت أفكاره الجديدة محددة لمصادر معرفتنا للواقع فمعطيات الحس المباشر كما ترى الوضعية المنطقية هي مصدر علمنا بالواقع وهي كذلك مقياس صدق هذا العالم ولذلك ليس ثمة وجود موضوعي للكلي والعام وإذا لم يكن للفظة رصيد بين كائنات الدنيا الخارجية التي نراها بالعين ونلمسها بالأصابع وجب تغليفها على سبيل العبارة مجهولة الدلالة فهي مركب ناقص لم يكتمل له كيان فالفكرة التي يجوز قبولها أو رفضها فالقبول أو الرفض مرهونان باكتمال الفكرة يقول زكي نجيب محمود" إنهما مرهونان بأن نضمن أفراد فعلية مما يشير إليه الاسم المعين "[3].

ومن أفكار زكي نجيب محمود الجديدة اعتباره الجملة التحليلية تحصيلا حاصل وأنهما جملة لا تقول شيئا جديدا ويقدم مثالا لها فإذا كان موضوع الحديث مثلا الديمقراطية فيقول قائل إن الديمقراطية هي مساواة الفرص أمام المواطنين ويقول آخر الديمقراطية هي أن تكون القرارات في المجالس العامة بأغلبية الأصوات فهذان قولان مختلفان عن مفهوم واحد وكل منهما لا يزيد أن يكون تعريفا للقائل ما الديمقراطية وليس هناك ما يبرر التفضيل بين التعاريف لأن كليهما يضعان جملة لمفهوم ما وإن اختلفت هذه الجملة فهي لا تضيف شيئا جديدا مستمدا من الوقع الطبيعي ومن هنا وجد زكي نجيب محمود أن حياة الناس الفكرية مليئة بأفكار من هذا النوع التكراري الذي لا يفيد شيئا في التقدم الفكري لذلك يجب العودة إلى دنيا الواقع الفعلي بدلا من تلك الأفكار التحليلية

---

[1]جون ديوي ،المنطق نظرية البحث ، ترجمة زكي نجيب محمود ،دار المعارف ، القاهرة ،دط1960 ،ص11.

[2]زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ط4 ،1965،ص1 (من المقدمة) .

[3]زكي نجيب محمود، قصة عقل ، المصدر السابق ،ص104.

الرياضية ، ومن هنا جاء موقف من الميتافيزيقا مناهضا على أساس حذفها من مجال الكلام المشروع فهو يفرق بين المجالين العلمي والوجداني في عبارات الكلام ويولي اهتماما انطلاقا من مبادئ الوضعية المنطقية بالمجال العلمي دون المجال الوجداني باعتبار أن الكلام في مجال العلم تفصل ألفاظه تفصيلا محكما على واقعة فعلية من وقائع الدنيا عن طريق الحواس بينما الكلام في مجال الوجدان له مقياس يعتمد على العاطفة والشعور وانطلاقا من هذه الرؤية الفلسفية[1] أصدر سنة 1953 كتابا سمّاه "خرافة الميتافيزيقا " رفض فيه ما يسمى بالميتافيزيقا .واعتبر أن العبارات الميتافيزيقية تدخل في باب الخرافة لا يستند إلى التفكير العلمي ومن هذا المنطلق رفض زكي نجيب محمود الكلمات التي لا تشير إلى الواقع المحسوس مثل الجوهر –الشعب-الأمة -النفس[2].

لذلك فالتفكير العلمي حق امتحان الألفاظ إذا كانت هذه الأخيرة لا تشير إلى شيء محسوس.

إلا أن زكي نجيب محمود ميز بين نوعين من الميتافيزيقا أحد البحث في ما الطبيعة والثاني البحث الجذور الأولية التي تنبثق منها القضايا العلمية فالميتافيزيقا بالمعنى الأول يرفضها زكي نجيب محمود رفضا مبدئيا باعتبار أنه لا يمكننا الوصول إلى أي نتائج أما معناها الثاني فهي تكشف عما وراء الجمل في العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية من فاعلية عقلية تضمن لتلك الجمل أن تكون صادقة .ويرى عبد الباسط سيدا أن زكي نجيب محمود يتفق مع كانط في رفضه الماورائية ويختلف معه فهما يتفقان في رفضهما إلا أنهما يختلفان في سبب رفضها فزكي نجيب محمود يرفضها على أساس أنها فارغة أما كانط فيرفضها لأن العقل عاجز عن إدراكها [3].

إلا أن زكي نجيب محمود لا يوافق على هذه الميتافيزيقا الثانية موافقة كلية لأنها تضع للعقل الانساني حدا يستطيع تجاوزه وتقول إن وراء ذلك أشياء أشياء فوق قدرة العقل

---

[1]زكي نجيب محمود، قصة عقل ، المصدر السابق ،ص105.

[2]-أحمد عاطف غيث ،نقد العقل الوضعي –دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود ،دار الطليعة ، بيروت ،ط1، 1980،ص22.

[3]عبد الباسط سيدا –الوضعية المنطقية والتراث العربي –نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي ، دار الفارابي ، بيروت ،ط1، 1990،ص116.

وهذا ما يعتبره زكي نجيب محمود تناقضا حيث يقول " إنك إذا زعمت للعقل الانساني حدا يستطيع أن يجاوزه ثم زعمت في الوقت نفسه بأن وراء ذلك الحد أشياء هي فوق إدراكه ، كنت تناقض نفسك بنفسك لأن اعترافك بوجود تلك الأشياء وراء الحد المزعوم هو في ذاته دليل على عبورك إلى المنطقة المحرم"[1].

ويحدد زكي نجيب محمود مهمة الفيلسوف في معرفة المبادئ الأولية التي تنهض عليها معارف عصره المختلفة دون إبداء الحكم عليها لأنه بإعطائه الأحكام يكون قد تعدى مهمته كفيلسوف .

ومن ذات النظرة المنطقية اعتبر زكي نجيب محمود الجمل التي نعبر بها عن القيم الأخلاقية والجمالية وخصوصا العبارات الأخلاقية كالعدالة والاتيقا بصفة عامة يعتبرها عبارات بلا معنى [2]، فكل عبارة تقال على شيء للحكم بأنه خير أو أنه جميل لا تدل في العالم الواقع على شيء ويرى زكي نجيب محمود أن العبارات الأخلاقية التي تحتوي على كلمة " يجب" إنما تعبر عن ما يشعر به صاحبها في داخله لذلك لا تصلح بأن تكون قضايا لأنها لا تصلح بأن توصف بالصدق أو الكذب لأنها لا تصور شيئا واقعا ،إلا أن زكي نجيب محمود يقبل بالأخلاق عندما تكون تعبيرا عن ميول الناس عامة لا عن ميول شخص من الأشخاص وهذه النظرة مشابهة للنظرة عند "الذرائعية " يقول "وليام جيمس":"إن الآراء الذائعة حق وإن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام ومن الحماقة لكثير منا أن يحاولوا التجديد في الأخلاق "[3].

ومن هنا يطفو سؤال في الأفق وهو لماذا اختار زكي نجيب محمود هذه الفلسفة منهجا ووجهة نظر له في قضايا العرب التاريخية والحضارية ،فما هي مهمة الفلسفة عموما ؟وما هي أسباب اختيار زكي نجيب محمود لهذه الفلسفة تحديدا ؟

---

[1]عبد الباسط سيدا الوضعية المنطقية لثراث العربي المرجع سابق،ص117.

[2]سامى أدهم –الوضعية المنطقية والنسخة العربية ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 75/74 مارس –أفريل 1990، ص47.

[3]عبد الباسط سيدا ،المرجع نفسه ،ص124.

يرى زكي نجيب محمود أن مهمة الفلسفة تتغير حسب مجريات الانسان العملية عبر العصور مهما بدّت في الظاهر بعيدة عن الحياة العملية .

لأن الفلسفة حسب زكي نجيب محمود تعبر " عمّا تنطوي عليه تلك الحياة في عصرها من مبادئ أساسية يسير الناس في نشاطهم العملي على مقتضاها شعروا بذلك أو لم يشعروا فهكذا كانت فلسفة أفلاطون وفلسفة آرسطو مثلا دفاعا في صميمها عن المثل العليا التي كانت هدف المدينة اليونانية يدافعون عنها إزاء هجمات الشكاك"[1].

كما كان هدف هذه الفلسفة في العصور الوسطى الدفاع عن العقيدة الدينية السائدة تلاها العصر الذي حدث فيه تغير في حياة الناس عندما جاءت الفلسفة تعبر عن ما تنطوي عليه حياة الناس حيث دعت إلى وجوب الانقلاب والثورة مثلما جاء في فلسفة "ديكارت " عندما خرجت أوروبا من عصرها الوسيط إلى عصرها الحديث وبمجيء عصر العلم لابد من تغير مهمة الفلسفة وهدفها ووسيلتها وفق متطلبات العصر يقول زكي نجيب محمود" الأثر الأكبر للعلم على الفلسفة الحديثة ليس هو اصطناع الفلسفة لفكرة معينة و انتمائها إلى رأي بذاته بل هو في انتهاج الطريقة العلمية في التفكير بعد ان كان للفلسفة طريقتها الخاصة بها ".

وهذا التشبيه بين الفلسفة والعلم لا يعني أن يشارك الفلاسفة العلماء في موضوعاتهم بل العكس فالفيلسوف لا يحق له أن يتحدث عن العالم لأنه لا يملك أدوات البحث التي تمكنه من ذلك وإنما قصد من هذا التشبيه أن تلتزم الفلسفة بالدقة المطلوبة في استخدام الألفاظ والعبارات.[2]

من هنا تحدث مهمة الفكر الفلسفي في نظر زكي نجيب محمود بتحليل ما تقدمه العلوم من قضاياها الأساسية تحليلا يكشف عن الجذور الأولية التي تنمو منها الأفكار العلمية .

---

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد ، مطابع الشروق ،بيروت ،ط2، 1982،ص163.

[2] نفسه ،ص181.

فالفلسفة عند زكي نجيب محمود "طريقة في البحث بغير الموضوع إنها لا تبحث في مسائل لتصل إلى نتائج لأنه هناك مسائل فلسفية مما تختص به هي دون أن يكون خاضعا في مجالات العلوم المختلفة [1] لذلك لم يعد الفيلسوف المعاصر كغيره من الفلاسفة الذين سبقوه يتعرض للوجود أو يحاول إيجاد نسق يسع كل شيء وإنما صار عملها تحليل الكلام لتوضيح معناه "[2] .

يتضح من هذا أن أفكار زكي نجيب محمود كانت في أربعينيات القرن 20 م أفكار حديثة في الفكر الغربي نفسه فضلا عن حداثتها في الفكر الفلسفي العربي.

أما عن أسباب اختيار زكي نجيب محمود لهذا التيار الفلسفي وهو الوضعية المنطقية فهذا راجع إلى دراسته ببريطانيا من جهة وإلى الفترة التي درس فيها الفلسفة بالذات حيث كانت أفكار هذه المدرسة مزدهرة ازدهارا كبيرا وإلى احتكاكه المباشر مع بعض الأساتذة من أعلام هذه المدرسة الفلسفية ولكن الراجح أنّ هناك سببا أكثر أهمية وهو شعوره بنقص المنهج العلمي والذهنية العلمية في العالم العربي وطغيان الخرافة والفساد الأخلاقي في مختلف ميادين الحياة وهذا الأمر الذي يجعل زكي نجيب محمود يأخذ بهذا المذهب الفلسفي لمواجهة الفكر الخرافي لهذا أراد زكي نجيب محمود في الفترة ما بين (1950-1970) نشر أفكار المذهب الوضعي نظرا لما رآه فيه من الجدّ والصرامة العقلية لإزالة ذلك النوع من التفكير غير العلمي في الحياة الثقافية والعلمية والعملية لذلك كانت الغاية في الخمسينات إشاعة نور العقل والدعوة إلى السير على هداه فهو الغائب الأكبر عن حياتنا الثقافية.

[1] زكي نجيب محمود، قصة نفس ، دار الشروق ،بيروت ،ط2، 1983،ص178.

[2] زكي نجيب محمود، قشور ولباب ،. المصدر السابق ،ص159.

الفصل الثالث

الحداثة بين كونية العقل الانساني والخصوصية الثقافية

- ثنائية العقل و الوجدان
- دراسات نقدية لآراء زكي نجيب محمود الفكرية

المبحث الأول : ثنائية العقل و الوجدان .

الرأي الشائع هو أن العقل بعلومه و صرامته عدو للوجدان و المشاعر الا أن الأغلبية الغالبة منا نصيرة للوجدان و ليست مصادفة أن تجد منا ألف شاعر كلما وجدت عالما واحدا [1].ومن هنا جاءت كتابات زكي نجيب محمود في هذه المرحلة ممجدة للعقل وقيمه نافية لأي دور فاعل للعواطف و الوجدان في سير الحضارة و تقدمها ولعل القاسم المشترك في جميع الحضارات الانسانية هو الاحتكام الى العقل وهذا الاحتكام الى العقل قد يتجلى في مختلف الحضارات الانسانية ،فربما ظهر في مجال السياسة أو مجال الحرب ، أو مجال التشريع ومهما اختلفت المجالات فهي تطبيقات مختلفة لمبدأ واحد وهو ان يكون الحكم لمنطق العقل وحده دون سواه وحتى العلم ليس الا عقلانية اتخذت لها منحى معينا من مناحيها الكثيرة وهذه النظرة العقلانية قد تتجه نحو الأفكار المجردة تنظمها وتنسقها في ترتيب هرمي يضع الأعم فوق الأخص .

كما حدث لليونان أو ربما اتجهت الى تحليل ما نزل به الوحي من تشريع كما حدث للعرب أو اتجه نحو استخراج القوانين من الظواهر الطبيعية كما حدث لأوروبا في عصرها الحديث .

وهذا التعريف العقلاني لمفهوم الحضارة وقضية التقدم الانساني الذي اذاعه زكي نجيب محمود في بداية السبعينيات يرجع الى منحاه العقلي العام و الى بداية الخمسينيات حيث أعلن انطلاقا من ايمانه بالمنهج العلمي و التجربة العلمية أن المجتمع لا يشفى من علله بالمواعظ و انما يشفى بالعلم نظرية و تطبيقا الا أن هذه النظرة العلمية التي يدعوا اليها زكي محمود نجيب لا تتمثل في اكتساب النظريات العلمية فقط و انما بمدى الايمان بالمنهج العلمي كطريقة نظر للأشياء أي في اكتساب "النظرة العقلانية" للأشياء ذلك أن مشكلتنا هي أن علماءنا أنفسهم ودارسي العلوم يدرسون الحقائق العلمية ويستوعبونها

[1]-.زكي نجيب محمود ،ثقافتنا في مواجهة العصر ،دار النشر، بيروت، الطبعة الثالثة ،1982،ص ص71-72.

دون أن يصبح المنهج العلمي أو النظرة العقلانية معتقدا لهم في حياتهم العملية [1]،وانك لتجد عندنا من الناس كما يرى زكي نجيب محمود من درسو العلوم وتفوقوا فيها ثم يفاجؤونك في جلساتهم الخاصة بقصص يروونها عن الخوارق التي لا يجوز قبولها ،الا اذا أجزنا تعطيل القوانين العلمية [2].لذلك فالنظرة العقلانية يترتب عليها أن لا نرضخ للعاطفة مهما كان نوعها وأن يتولى العمل من يحسن أداءه لا من ينتمي الى أصحاب الجاه وأن يكون الارتكاز على الواقع المادي فالكثير منا يرون أن العقلانية هي من ميراثنا الأصيل الا أنهم حين يصطدمون بهذه الشروط يجدون أنفسهم عقلانيين بالاسم لا بالمضمون و النتائج [3].

لذلك فمشكلتنا في جوهرها حسب زكي نجيب محمود هي مشكلة "منهج "وهو المنهج العلمي الذي يتلخص فلسفيا في مفهوم العقلانية ،ذلك لأن النظرة العلمية (المنهج العلمي) تلتقي مع الوضعية المنطقية في الايمان بالعقل منطلقا و العقلانية نظرة للأشياء في الحياة العلمية و العملية فالعلم بكل ضروري نشاط عقلي خالص [4]، والوضعية المنطقية هي أقرب المذاهب الفلسفية مسايرة لروح العلم عند زكي نجيب محمود لذلك كان دفاعه عن العقل و الدعوة الى الايمان به و الاحتكام لأحكامه في قضية الحداثة و التقدم الحضاري .

فاذا كانت أهم منطلقات النظرة العلمية هي أن ترد الظواهر الى أسبابها الطبيعية فلا يعلل سقوط المطر مثلا الا بظروف المناخ فان منطلق النظرة "العقلانية" هو التقيد بالروابط السببية [5]، التي تجعل من العناصر المتباينة حلقات تؤدي الى نتيجة معينة ولان مشكلتنا هي كما يبين زكي نجيب محمود في جوهرها هي مشكلة المنهج العلمي ،وهو

---

[1]-. زكي نجيب محمود:ثقافتنا في مواجهة العصر ،المصدر السابق ص ص70-71.
[2]-. زكي نجيب محمود :تجديد الفكر العربي ، المصدر السابق، ص ص11-12.
[3]-. نفسه ،ص204.
[4]-.زكي نجيب محمود المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري ،دار الشروق بيروت، دط ،ص362.
[5]-.زكي نجيب محمود ،ثقافتنا في مواجهة العصر، المصدر السابق ص 198.

في النهاية النظرة العقلانية للأشياء فان القناعة التي لازمت زكي نجيب محمود في كتاباته رغم اختلافها هي "أن الفرد الانساني مسؤول عما يفعل وأن هذه المسؤولية لا تعني شيئا اذا لم يكن العقل وحده هو مدار الحكم في كل المسائل التي نطلب فيها التفرقة بين الصواب و الخطأ" [1].

وهذه القناعة هي التي جعلت يرى الناس في المجتمعات العربية في غير وفاق مع العقل وأحكامه وهذا ما يترتب عليه التخلف عن ركب الحداثة والتقدم .

الا أن هذه القناعة بالعقل وأحكامه كانت لها خلفيتان الأولى ذاتية وتمثلت في الوضعية المنطقية والثانية ثقافية تاريخية تعود جذورها الى نتائج النهضة العربية الحديثة في مصر حيث اتصلت مصر بالمدينة الأوربية وثقافتها بداية مع رواد النهضة الفكرية ،ومع رواد جيل النهضة أمثال طه حسين ومصطفى عبد الرزاق ومنصور فهمي ...الخ.

هؤلاء الرواد جميعهم جمعتهم الرغبة في النهضة و التقدم الا أنهم تفرقوا بين مناد بإحياء قيم التراث الاسلامي العربي ،والنهوض بها من جديد في هذا العصر بغرض التوفيق بينها و بين القيم الحديثة ،وبين مطالب بالاعتماد على هذه القيم الحديثة ،وحدها وبالرجوع الى التاريخ نجد أن رغبة هؤلاء الرواد في النهضة ،والتقدم مثلتها فئات اجتماعية ناشئة جديدة عرفت بالبرجوازية الا أن أفكار هؤلاء الرواد التي مثلتها تلك الفئات الاجتماعية الناشئة وتلك القيم العقلانية التي نادوا بها لم تستطع مواجهة البقايا الراسخة من الهيمنة الاقطاعية فلم يحدث ذلك الترسيخ لسلطة العقل و العقلانية وعليه لم تتحقق تلك النظرة المأمولة في ساحة الفكر و الثقافة .

وقد شهدت هذه الفترة أبعاد جديدة لفكرتي "الحرية –والعقل" فقد دعى العقاد الى تحرير الشعر و الفن ودعى السيد درويش الى تحرير الموسيقى من صيغتها القديمة وطالب

[1]-.زكي نجيب محمود، مجتمع جديد او كرثة ، دار الشروق بيروت، ط3 ،1983،ص26

طلعت حرب بتحرير الاقتصاد [1]،وفي هذا المناخ الفكري و الثقافي أخذ زكي نجيب محمود يقبل اقبالا شديدا عل متابعة الحياة الثقافية متابعة كادت كما يقول ألا تترك كتابا أو مقالا مما كان يكتب أعلام الحركة الفكرية ،والأدبية في مصر لا سيما في الفكرتين الرئيستين "فكرة الحرية وفكرة العقل ".

و لقد استمر صراع التيار الفكري اللبيرالي العقلاني مع ممثلي قوى الهيمنة الاقطاعية ،وثقافتها في مصر الى مطلع الخمسينيات ،أي الى ثورة 1952،التي كانت في حقيقتها ثورة ضد الهيمنة الاقطاعية و ثقافتها الا أن هذه الثقافة لم تزل راسخة في الأوساط الشعبية وهذا ما جعل زكي نجيب محمود يرى الناس في مجتمعه مناقضين لأحكام العقل ، وهذا ما جعل زكي نجيب محمود يشهر سلاح العقل في مواجهة هذه الثقافة التقليدية و مواجهة من يمثلها منذ بداية تآليفاته ،فلطالما انحاز الى التيار الفكري الليبرالي العقلاني الذي أرسى أسسه الجيل الثاني للنهضة المصرية الحديثة فشكل هذا التيار الخلفية التاريخية الثقافية ،لفكر زكي نجيب محمود و لذلك حملت كتاباته منذ البداية دعوة حداثية صريحة غايتها "تنوير العقل في المجتمع المصري "خصوصا و المجتمع العربي عموما أو هي دعوة الى الثورة على ما يسود الحياة العقلية من يقينيات خرافية مطلقة ومسلمات أخلاقية أولا أخلاقية مستمدة من استبداد القرون الوسطى و ركودها [2].

وهي ثورة على المنوال الفكري القديم ، أي على الرضوخ الى سلطة فكرية تستمد منها الانسانية .

ولقد بنى زكي نجيب محود دعوته الى ثورة على الثقافة التقليدية و الأخذ بأسباب الثقافة العصرية من ايمانه بمبدئ ثقافي هو أن الثقافة تتغير من عصر الى عصر وفي هذا السياق يقول "انني أدعوا الى ثقافة تساير العصر فذلك لعلمي بأن الثقافة قد تغيرت معانيها مع تعاقب العصور و ليست هي كعنصر من عناصر الكيمياء يظل ذا صفة

[1]-.امام عبد الفتاح:رحلة في فكر زكي نجيب محمود، المرجع السابق ،ص129.
[2]- احمد عاطف، نقد العقل الوضعي، مرجع السابق، ص5.

مميزة فلا يتغير مع الزمن ولا يتبدل ،فما كان شرطا ضروريا للمثقف في مرحلة معينة لم يعد كذلك في مراحل أخرى جاءت بعد ذلك "[1].

وقد لجأ زكي نجيب محمود لتعزيز موقفه الى الحجة التقليدية وهي تغير الحياة الثقافية حسب متطلبات العصور في تاريخ العرب و المسلمين أنفسهم فللجاهلية ثقافتها حيث كان السيف أساس هذه الثقافة وفي مرحلة الاسلام تغيرت هذه الثقافة فأصبحت فطنة العقل هي محورها فصار المثقف انسانا يتقن اللغة وملحقاتها و الفقه الاسلامي ومذاهبه .

ثم جاء بعد ذلك العصر العباسي ودخلت الثقافة الاسلامية في طور جديد فأضيف اليها ثرات الثقافات الأخرى و ثقافتها مثل الثرات اليوناني لتخرج الثقافة الاسلامية بهذا من حدودها القومية الى حيث العالم الواسع بآفاقه الثقافية العالمية [2].

وانطلاقا من هذا الايمان بتواصل الثقافات و تعاقبها حاول زكي نجيب محمود اظهار مميزات ثقافة عصرنا حيث رأى أنها ثقافة الغرب بدون منازع ووجدها متمثلة في مبدأ تشترك فيه جميع اتجاهات الفلسفة الغربية المعاصرة على اختلاف مذاهبها وهو أن حياة الانسان تشكل محور اهتمامها جميعا فالفلسفة التحليلية تصب اهتمامها على التفكير العلمي فهي بذلك تحدد اهتماماتها على ماله صلة بحياة الانسان والفلسفة البرجماتية التي أساسها أن الفكرة تكون صحيحة اذا كانت نتائجها نافعة للانسان ،والفلسفة الوجودية ،ومدارها هو حرية الانسان في اتخاذ القرار بنفسه .

ولأن الثقافة الغربية المعاصرة هي ثقافة هذا العصر فهي مستمدة من هذه الفلسفات ومحور هذه الفلسفات هو تحرير الانسان من القيود الحاجزة لارادته فقد رآى زكي نجيب محمود ضرورة نشر هذا الفكر الإنساني في مجتمعنا العربي هذا المجتمع الذي ما زال يعاني من الاستبداد ومن هنا يمكن القول ان دعوة زكي نجيب محمود في هذه

[1]-.زكي نجيب محمود :قصة عقل ، مصدر السابق ص80.
[2]- نفسه ،ص82.

المرحلة قامت على فكرتين أساسيتين من قيم الحداثة أراد لهما التجذر والتأصل في المجتمعات العربية وهما الحرية والتعقل[1].

واذا كان زكي نجيب محمود قد وجد ما يبرر دفاعه عن الحرية من مظاهر القهر و الظلم في مجتمعاتنا فانه وجد أيضا ما يبرر دفاعه عن العقل أو التعقل في لون الانسان العربي عموما كما يقول "أشد ميلا بحكم ثقافته الى العبارة المثيرة للوجدان منه الى العبارة المستندة الى العقل"[2].

وهو يرجع ذلك الى نقص تربية العقل و الاسراف في اشعال الوجدان فالحرية و التعقل هما أساس الحضارة الحديثة لذلك فقد أحس بضرورة اعلاء شأن العقل حتى لو ذهب في ذلك الى حد المبالغة لأن ذلك يمكن أن يحدث توازنا في حياتنا بين العقل و الوجدان لأن التوازن بينهما في مجتمعنا العربي يكاد يكون معدوما .

لذلك صب زكي نجيب محمود جل اهتمامه في الدفاع عن العقل وفي الدفاع عن الشروط الممكنة للثورة الفكرية هذه الأخيرة التي تعمل على استحداث منطق جديد أهم معطيات أن تكون الخبرة المباشرة عقلية كانت أو حسية هي نقطة الابتداء ولا تكون بدايتها من تلك الأقوال و المعتقدات التي حملها الينا الزمن [3].

ومن هذا المنظور الفلسفي رفض زكي نجيب محمود سلطان الماضي على الحاضر لأنه بمثابة السيطرة يفرضها الموتى على الأحياء [4].ورفض أن يتحول الاعجاب بالقديم الى حد تقديسه واعيا بأن ينتقل الناس من حالة الاكتفاء بما كتبه الأقدمون الى كتاب الطبيعة المفتوح فلا بد أن يكون العقل الانساني هو المرجعية الأولى فيما يعترض اليه الانسان من مشكلات تتطلب حلول لأنه هو الوحيد الذي يجب أن نستعين به في العلم و العمل.

---

[1]. -.أحمد ماضي: العقل و العقلانية في كتاب زكي محمود نجيب ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998،دط،ص274

[2]زكي نجيب محمود قصة عقل المصدر السابق ص 121

[3]-.ابراهيم فتحي:المرجع السابق،ص9.

[4]-.زكي نجيب محمود :تجديد الفكر العربي ،مصدر سابق ،ص51.

ومن هنا جاءت دعوة زكي نجيب محمود الى ضرورة الارتفاع بمنزلة "العلوم "معتقدا أن اللجوء الى العلم انما هو تجسيد للعقل في رسم الطريق الصحيح ومن هذا المنطلق جاءت دعوته الى محاكاة الحياة الانسانية و الفكرية كما هي في الغرب لأن الغرب حسب زكي نجيب محمود هو صانع العصر فعلى بقية الدنيا أن تتبعه حتى لو أجرت تعديلات و اضافات هنا و هناك [1] .

الا أن زكي نجيب محمود الذي ظلت عنده كفة الثقافة الغربية هي الراجحة طوال فترة طويلة من حياته لم يسعفه انحيازه التام لهذه الثقافة في ايجاد حلول لما يعترض العالم العربي من مشكلات خصوصا مع التطورات القومية نهاية الستينيات لذلك يقول زكي نجيب محمود "مشكلة المشكلات في حياتنا الثقافية الراهنة ليست هي كم أخذنا من ثقافة الغرب وكم ينبغي لنا أن نزيد انما المشكلة على الحقيقة هي كيف نوازن بين ذلك الفكر الوافد الذي بغيره يفلت منا عصرنا أو نفلت منه وبين تراثنا الذي بغيره تفلت منا عروبتنا أن نفلت منها ".

هذه الصحوة التي بدأت تتجلى في فكر زكي نجيب محمود ،ليس مرادها الى تطورات الحركة القومية فقط ،بل هي راجعة الى بدايات الستينيات حينما بدأ يبحث عن ظاهرة الجمع بين العقل و الوجدان ،بعد أن صب جل تركيزه على المجال العقلي ،بدأ يدرك أهمية الوجدان في الحياة الانسانية العامة بدءا بكتابه "الشرق الفنان" ،وهذا ما سيظهر في كتبه التي نشرها في سبعينيات القرن الماضي وأهمها تجديد الفكر العربي ،المعقول واللامعقول في ثراتنا الفكري .

فقد أدرك زكي نجيب محمود أن الحياة الانسانية لا يكفيها العقل فقط انما هناك جوانب أخرى مثل الوجدان و العواطف وهذه الجوانب لا تتدخل في ميادين العقل ومن هنا انتقل اهتمامه من الدفاع عن العقل فقط الى الجمع بين العقل و الوجدان وذلك من خلال عدة

[1]-.أحمد ماضي :المرجع السابق ،ص274.

أنماط اذ قسم تاريخ الانسان المتحضر الى ثلاثة أنماط فيها طرفان متضاذان ووسيط يجمع بينهما أحد الطرفين ،هو الشرق الأقصى الذي كانت فيه السيادة للحدس الصوفي وضده هو اليونان و الغرب حيث كانت السيادة في الحياة الثقافية للعقل ثم جاءت الحياة الثقافية فيما نسميه بالشرق الأوسط ووسطا يجمع الضدين في كيان واحد وفيه منطق الفيلسوف وحدس المتصوف [1].

ومن هنا استخلص زكي نجيب محمود ، أن طرفي العقل والوجدان اجتمعا في ثقافة الشرق الأوسط بصفة عامة، والثقافة العربية في عصر ازدهارها بصفة خاصة هذه الثقافة التي ورثناها فباتت من أهم العناصر التي تتألف منها الهوية العربية في عصرها الراهن [2].لأن الثرات الثقافي العربي يجتمع فيه تأمل المتصوف و تحليل العالم و صناعة العامل لذلك يرى"زكي نجيب محمود" أن الفلسفة الاسلامية تمثل طبيعة الأمة العربية حيث وجد فيها ثنائية العقل و الوجدان لأن المشكلات في الفلسفة الاسلامية ،هي مشكلات دينية وطرق معالجتها هي طرق عقلية خالصة لا فرق في ذلك كما يقول زكي نجيب محمود بين فلاسفة الاسلام وفلاسفة المسيحية ابن القرون الوسطى لا في نوع المشكلات ولا في منهج البحث ،اللهم الا ان الفريق الأول مسلم يختار مشكلاته من العقيدة الاسلامية والفريق الثاني مسيحي يختار مشكلاته من العقيدة المسيحية لكن كل فريق منهما يلتمس لعقيدته الدينية أساسان من العقل [3].

وقد وجد زكي نجيب محمود هذه الازدواجية متجلية في اللغة العربية أيضا بين فكر عقلي ووجدان صوفي فقال "اللغة العربية ذاتها ركبت تركيبا يحمل الجانبين معا فهي منطقية الى حد بعيد اذا قيست الى غيرها من اللغات ثم هي مشحونة بشحنات وجدانية الى حد بعيد كذلك [4].

---

[1]- زكي نجيب محمود :قصة عقل ،ص 176.
[2]-مصدر نفسه ص179
[3]-نفسه، ص ص181-182
[4]-نفسه ص 177

وخلاصة القول، هي أن الثقافة العربية يجتمع فيها العقل والوجدان على نحو من التوازن هذا الأخير الذي لا يوجد فيه أي ثقافة أخرى فثنائية العقل ،والوجدان مقومان أساسيان في تركيبة الثقافة العربية لذلك يذهب زكي نجيب محمود ،للقول بأن الهيكل الثقافي عربي يقوم على جوهر ثابت ومتغيرات اما جوهر الثابت فهو الوجدان الديني وأما المتغيرات فهي متروكة للعقل الا أنهما لا يتناقضان ولا يتصادمان فقد يجيء الادراك الوجداني ثم يعقبه منطق العقل وهذا ما يتجلى بوضوح في الثقافة العربية لأن المؤمن يؤمن أولا ثم يحاول أن يتناول التحليل العقلي ما آمن به [1].

هذه الازدواجية بين العقل والوجدان هي التي يقيم عليها زكي نجيب محمود دعوته الى احياء روح العقل الموجود في تراثنا ومعالجة علاقة اصالة والحضارة بثقافتنا العربية الحديثة .

ان الانسان العربي أشد ميلا بحكم ثقافته الى العبارة المثيرة للوجدان منه الى العبارة المستندة للعقل .

لذلك فقد أدرك زكي نجيب محمود "أنه لا مفر من ثورة فكرية تتناول الأسس بالتغيير الشامل ،اذا أردنا حقا الخروج من عصورنا الوسطى الى عصر النهضة الحقيقية وهذه الثورة التي لا مناص من حدوثها ليعتدل الأمر ويتوازن وهي أن نغير من المنهج الذي ننظر به الى الدنيا من حولنا "[2]،وقد ظل أعواما لا يرى للحياة المزدهرة الى نمط واحد وهو النمط الغربي الحديث هكذا كانت رؤية زكي نجيب محمود ،لعلاقاتنا بحضارة العصر هذه النظرة التي بلغ فيها "حدودا" من التطرف الذي لم يعرف لنفسه حيطة وحذرا هذا التطرف الذي يقول عنه "بدأت بتعصب شديد لهذه الاجابة السهلة و ربما كان

[1]-.زكي نجيب محمود: قصة عقل، مصدر السابق ،ص186.
[2]-. نفسه ،ص121.

دافعي الخبئ اليها هو اهتمامي بشيء من ثقافة أوروبا، و أمريكا وجهلي بالثرات العربي جهلا يكاد يكون تاما "[1].

الا أنه و بعد هذا التطرف الى هذه الثقافة الغربية تدارك الأمر لأنه كان ينظر الى الأمر من جانب واحد وهو العصرية و نسي جانبا مهما وهو الحفاظ على الهوية فهذا الانسان العصري يجب أن لا يبقى بدون هوية وبدون انتماء وقومية لذلك راح يبحث عن كيفية نجمع فيها بين ثراتنا و متطلبات عصرنا .

لقد حاول زكي نجيب محمود ايجاد اجابة عند من سبقه من مفكرين حول كيفية الجمع بين الثرات و الحاضر فلم يعثر على اجابة شافية الا أن وجد الحل كما يقول في عبارة قرأها عن "هربرت ريد" تقول: "اني لعلى علم بأن هنالك شيئا اسمه الثرات ولكن قيمته عندي هي في كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ونحن آمنون بالنسبة الى ما استحدثناه من طرائق جديدة "[2] .

ومن هنا تبلورت عند زكي نجيب محمود الاجابة عن السؤال القائل ماذا نأخذ من ثقافة الغرب لكي ننهض بهذه الأمة وهي اجابة بسيطة نأخذ من ثراتنا ما يلائم عصرنا و نستطيع تطبيقه تطبيقا عمليا هذا التطبيق الذي من خلاله نحي ثراتنا أما ما لا نستطيع تطبيقه فنتركه و الموقف ذاته بالنسبة للثقافة الغربية وبما أن الغاية هي التقدم الحضاري كما هو مستجد في عصرنا اليوم و التقدم أساسه العقل فلا بد من البحث عن الطرق التي يمكن نقلها عن الأسلاف وفي الوقت ذاته لا تتعارض مع المستجدات العصرية أي "جوانب العقيدة والفن وبعض تقاليد الحياة التي لا تتنافى مع الحركة العلمية بكل فروعها "[3].لذلك يجب أن نستخلص من الثرات ما يجعل العقل وايمان متعاونان لا متعرضان لذلك فمبدئ ثنائية العقل و الوجدان مستمد حسب زكي نجيب محمود من ثراتنا ضارب

[1]-زكي نجيب محمود تجديد الفكر العربي ،المصدر السابق ،ص13
[2]-. نفسه،ص17.
[3]-زكي نجيب محمود ثقافتنا في مواجهة العصر المصدر السابق ص206

بجذوره الى أعماق الثقافة فمبدأ الثنائية هو الذي يحكم الوجود هذا الثنائي الذي يتجسد بوجه آخر في "الروح ،والمادة، الخالق ،و المخلوق الأزلي،و الحادث.

هذه بعض الخطوط العامة للفلسفة التي يقترحها زكي نجيب محمود لمعالجة علاقة الأصالة بالحداثة أي الفلسفة المناسبة للجمع بين الحداثة و الثرات على ضوء الشروط التاريخية من جهة ومتطلبات العصر من جهة أخرى فهل تشكل النظرة النفعية الى الثرات منطلقا خصبا لمعالجة مسألة الحداثة ؟

يجمع معظم النقاد على اعتبار كتابات زكي نجيب محمود ذات اسهام متميز في الفكر العربي المعاصر فالى جانب تخصصه في بعض القضايا الفلسفية المعاصرة يعد أحد رواد التنوير و الحداثة في الفكر العربي المعاصر فهو كما يقول فؤاد زكرياء "من أوائل المفكرين العرب المعاصرين الذين شعروا بوجود ثقافة ذات طابع عالمي تجتاح الجو الفكري للبلاد العربية ومن أوائل المفكرين العرب الذين أدركوا ضرورة تحديد موقف ايجابي من هذه الثقافة وكان موقفه رائدا في هذا المجال [1].حيث شكلت مسألة العقل و العقلانية و الحركية وكرامة الانسان شغله الشاغل طوال خمسة عقود من نشاطه الفكري الذي كان العقل هو أساسه وكتاباته أعلت من قيمة العقل و التفكير العلمي في مواجهة الحياة ومشكلاتها ويعتبر من أهم الرواد في محاولة اشاعة التفكير العقلاني والتأكيد على أهميته فقد كان البعد الانساني مميزا في فلسفة زكي نجيب محمود لأنه أراد للانسان العربي أن تكون له مكانة في مجتمعه هذه المكانة ليس أقل من تلك المكانة التي يحضى بها الانسان الأوروبي في مجتمعه وهو القائل :"لم تكن دعوتي الى ثقافة الغرب صيحة مجنونة مفتونة بمظاهر كاذبة بل هي دعوة دفعتني اليها من مكانة رفيعة للانسان كل انسان وأي انسان ،من حيث هو انسان بكفئ فعندئذ قارنت بين ما رأيته هناك وما كنت أعلمه عن قيمة الانسان في ثقافتنا المصرية كيف تعلو و تهبط مع درجات السلطة

[1]--.فؤاد زكرياء : زكي نجيب محمود المشهد الأخير ،مجلة العربي ،عدد 420،نوفمبر 1993ص86.

والنفوذ و الثراء و نوع العمل فهل كان يمكن أن أرى ذلك الفارق الشاسع بين الثقافتين دون أن أدعو الى الأخذ بكل ما من شأنه أن يكسب الانسان كرامته "[1].

وهذا الموقف الانساني في فسلفة زكي نجيب محمود هو ما جعله يدعوا الى تكريس قيمتين أساسيتين هما الحرية و العقل فصور الحرية عند زكي نجيب محمود مهما اختلفت وتنوعت فهي تلتقي عند أصل واحد هو أن يكون هناك قيد ما أضيف بغير ضرورة ملزمة الى القيود الطبيعية التي لا مفر منها و الحرية هي كسر ذلك القيد ومعنى كسر القيد هو العلم فيصبح الانسان سيد الطبيعة لا سجينها و بهذا يربط زكي نجيب محمود بين الحرية و التعقل فكلتا الفكرتين مكملتان لبعضهما لذلك يقول زكي نجيب محمود "اذا تحررت من قيود الجهل و الوهم و الخرافة كنت بمثابة من قطع من الطريق نصفه السلبي وبقي عليه أن يقطع النصف الآخر بعمل ايجابي يؤديه أن تكون أمام المتحرر بعد تحرره خطة مرسومة يهتدى بها وما تلك الخطة الهادية الا العقل في طريق سيره "[2].

وهذا ما جعل الكثيرين يشبهون فكر زكي نجيب محمود بالفكر التنويري الذي حضر لثورات في أوروبا الغربية وهو بهذا يعد منورا ثائرا لأن فكره بمثابة العلمية العقلية الذي يعبر عن روح العصر وهذا ضروري للأمة العربية التي لابد من اعلاء شأن العقل فيها لذلك اعتبر زكي نجيب محمود من أهم التنويريين الحداثيين في الفكر الفلسفي العربي المعاصر.

---

[1]- زكي نجيب :حصاد السنين ،مصدر سابق ،ص 129.

[2]-.محمود أمين العالم ، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية ،دار المستقبل العربي ،بيروت،لبنان ،ط1، 1996،ص189

المبحث الثاني :دراسات نقدية لآراء زكي نجيب محمود الفكرية .

الا أنه من الصعب العثور على موقف ثابت لدى زكي نجيب محمود في مقترحاته الفلسفية فالتراجع عن الأفكار وعدم الاستقرار ،سمات مميز لموقفه فزكي نجيب محمود يصف فلسفته المقترحة ،"بأنها تعبير عن وجهة نظرنا المنبثقة عن جذور ثقافية غائرة في أعماق نفوسنا "[1].

هذه الفلسفة التي تجعل من النظرة النفعية للثرات مبدأ معالجة مسألة الحداثة فهل هذه الفلسفة تضمن الجمع بين العلم وكرامة الانسان ؟واذا كان هذا صحيحا فكيف يمكن تفسير ما يقوله عن تلك العقبات التي ينبغي ازاحتها من الثرات حتى يمكننا الأخذ بالخصائص الحديثة للعصر وأهمها كما يقول "أن الحاكم في تاريخنا لا يقبل سوى رأيه الخاص وأن القوانين الطبيعية تعطل في سبيل تأكيد حدوث الخوارق و الكرامات "[2].فتعطيل قوانين الطبيعة يعني تعطيل العلم واستبداد الحاكم وانفراده برأيه يعني التعدي على كرامة الانسان فكيف يمكن أن نقول عن هذا الثرات أنه يجمع بين العلم و كرامة الانسان ؟هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يمكن لهذه الفلسفة أن تكون أفضل من الفلسفات الرائجة في الغرب في الوقت الذي لا يتردد فيه زكي نجيب محمود في الاشادة بدور هذه الفلسفات في ما توصل اليه المجتمع الغربي من تقدم في شتى المجالات وليس هذا التناقض هو الوحيد في فلسفة زكي نجيب محمود فهو يتنكر أيضا لمبدأ الثنائية ذاته الذي جعله أساس هذه الفلسفة حيث يقول " واني لأنظر فأرى سلسلة الخصائص التي يراد لها أن تقنع جذورها من ترتيبنا الثقافية قبل أن يتم لنا استنبات زرع جديد انما تترابط حلقاتها فاذا سلمت بالأولى كان لزاما أن تسلم بالثانية فالثالثة فالرابعة وأولى هذه الحلقات وأعمقها جذورا وأكثرها فروعا هي نظرة العربي الى العلاقة بين الأرض و السماء بين الخالق و المخلوق بين الواقع و المثال بين الدنيا و الآخرة بين المعقول و

[1]-.زكي نجيب محمود ،تجديد الفكر العربي مصدر سابق ،ص274.
[2]-نفسه ص 285.

المنقول انما ثنائية حدا بين الغيب و الشهادة بين الروح و الجسد بين الانسان و الله ،والعلاقة بين الطرفين ليس هي التبادل بالأخذ و العطاء بل هي علاقة الحاكم بالمحكوم و الحاكم هنا مطلق السلطان و المحكوم معدوم الحلول ،و الحيلة[1].

وهذا التناقض موجود أيضا في موقف زكي نجيب محمود من الثرات ففي كتابه "تجديد الفكر العربي " يحاور الذين ينادون باحياء الثرات متسائلا عن المنفعة التي يمكن أن يجنيها العربي المعاصر من الثرات لمعالجة المشكلات الراهنة وهي كما يراها مشكلات حديثة تختلف اختلافا كبيرا عن مشكلات الأسلاف لأن هذه الأخيرة كانت مشكلات دينية في أساسها أي مشكلات تدور وكما يقول أساس على محور العلاقة بين الانسان و الله في حين أن المشكلات الحاضرة حسب زكي نجيب محمود تدور حول العلاقة بين الانسان والانسان وهذا ما جعله يرى بأن الثرات لا مكان له في هذا العصر فكتابه تجديد الفكر العربي هو محاولة للاجابة عن السؤال القائل "الى اي حد يمكن للعربي المعاصر أن يستعين بالثرات الفكري في معالجة مشكلاته الراهنة فهو هنا لايرى في التراث أي نفع الا أن سرعان ما تخلى عن هذا الموقف العدمي من الثرات و يرجع الى تبني موقف آخر ايجابي وهو "اذا شئنا أن يكون لنا موقف نستمده من الثرات فليكن هو موقف المعتزلة و الأشاعرة معا فمن المعتزلة نأخذ طريقتهم العقلية ومن الأشاعرة نأخذ الوقوف بالعقل عند آخر حد نستطيع بلوغه وبهذا نجعل الدين موكولا الى الايمان ونجعل العلم موكولا الى العقل [2].

والحق أن أطروحة زكي نجيب محمود الحداثية كثيرا ما وصفت من قبل النقاد بأنها أطروحة "توفيقية " أي أنها يسعى من خلالها الى ايجاد صيغة توفيقية يجمع فيها العربي المعاصر مع خصوصيات ثراثنا و حضارة عصرنا .

---

[1] -زكي نجيب محمود ،تجديد الفكر العربي ،ص294-295.
[2]-.نفسه ،ص136.

واذا ما تتبعنا المراحل الفكرية التي مر بها زكي نجيب محمود نجد عدة تطورات حيث أنه لم يلبث على فكرة واحدة وانما اختلفت أفكاره فبعدما كانت له نزعة صوفية وذلك عند قيامه لشرح عينة ابن سينا تغيرت نظرته وفكره كليا عندما بدأ مهاجمته للميتافيزقيا ودعى الى التخلي عنها وهذا ما تجلى في كتابه خرافة الميتافيزيقيا و عدل عنوانه بعد ذلك الى موقف من الميتافيزيقيا يقول عنها " انها مجموعة من العبارات التي تحتوي على كلمات لا ترمز الى شيء مما تقع عليه حواس الانسان فعلا أو امكانا حيث يلاحظ هنا وجود نوع من التناقض في فكره فبعدما تحدث عن النفس فها هو يغير و جهة نظره بعدما تبنى الوضعية المنطقية هذه الأخيرة التي تنفي كل ما لا يقع تحت الحواس حيث بدى زكي نجيب محمود متحمسا في دعوته للفكر الوضعي المنطقي عندما ميز هذا الفكر بين أنواع العبارات التي كانت سائدة في حياة الثقافة العربية حيث كان يرفض هذه العبارات بعد تحليلها ووجد بأنها فارغة لا تعني شيئا ولا تدل على شيء كما رآى بضرورة تفسير كل ما يقع تحت الحس تفسيرا علميا و الاكتفاء بذلك لجعل الفلسفة تتفاعل مع عصرها فعلى الفيلسوف الابتعاد على العلم و تركه لأصحابه و التخلي عن تلك المباحث التي تصب في خانة الميتافزيقيا فمهمة الفيلسوف لا تتجاوز تحليل العبارات اللغوية وهذا بالرجوع الى ما يحدث ف العالم الغربي من صراع بين الفلسفة و العلم من منطلق أن العلم وصل الى قيمة تطوره لذلك فمن الواجب أن يحدد مفاهيم للفلسفة على هذا الأساس أراد زكي نجيب محمود تبني الوضعية المنطقية الغربية و تطبيقها في المجتمعات العربية [1].

باعتبار أن الفكر الغربي هو أسمى الأفكار الى أن هذه الدعوة لم تلق رواجا في الأوساط الاجتماعية العربية وذلك راجع الى طبيعة المجتمعات العربية هذه الطبيعة التي لا تزال قائمة على العقيدة و الوجدان مبتعدة عن العلم فلقد التزم زكي نجيب محمود بهذه الوضعية المنطقية دون التفكير في معتقدات الشعوب الى درجة بلوغه مستوى مرتفع من

[1]-.أسامة على حسن موسى ،المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود ،مرجع سابق ،ص140.

التقليد عندما أراد تطبيقها على المجتمعات العربية وعندما تبنى في أول مراحله الفكرية ،فلسفة الوضعية المنطقية كان منبهرا بها فأخذها على ما هي عليه دون الالتفات الى واقعها الأوروبي الذي خرجت منه والى مدى ملائمتها للوضع العربي [1].فقد تبنى الوضعية المنطقية باعتبارها شيئا جديدا فقط دون النظر الى الخصوصية الثقافية للشعوب وهو المعروف بتطرفه لكل ما هو جديد فتبنى الوضعية المنطقية لم يقبل في الأوساط الشعبية العربية كما أن مبادئ هذه الوضعية المنطقية لم تتوافق مع سلم القيم الاجتماعية و الفكرية بسبب تجاهلها للوازع الديني هذا الأخير الذي يعتبر أهم مميزات الثقافة العربية الاسلامية لذلك لم يستطع الفكر الوضعي أن يحصد مكانا في الثقافة العربية وقد تباينت الرؤى حول فكر زكي نجيب محمود ،فقد رأى امام عبد الفتاح امام بأن زكي نجيب محمود "لم يعتنق الوضعية المنطقية مذهبا و انما وصفها لصالح الفكر التنويري [2] ،معناه أن هدفه من اتباع الوضعية المنطقية هو هدف تنويري لصالح الفكر العربي وقد صرح بأن الوضعية المنطقية هي بمثابة المنهج يتبعه البحث للوصول الى مبتغاه .

وهذا ما يتضح في قوله " ليست الوضعية المنطقية مذهبا بقدر ما هي منهجا للنظر العلمي يرسم للباحث خطواته التي تضمن له السير على أرض صلبة لا تميد تحت قدميه "[3] فالوضعية المنطقية طريقة مثلى اكتشفها زكي نجيب محمود من أجل تلبية حياة بالخصوص في المجال الفكري فدعوته المتمثلة في اتباع المنهج العلمي كانت من أجل تحقيق الحرية و العلم من أجل اللحاق بحضارة العصر فقد وجه زكي نجيب محمود أن المنهج العلمي هو المنقذ اجدر للخروج من واقع الثقافة العريبة المتأزم وبعدها جاءت مرحلة انتقالية أخرى لحياة زكي نجيب محمود حيث بدا يرجع الى دراسة التراث الإسلامي فيعد ما كانت له نظرة علمية تجريبية صارمة مفرقا في حياة الانسان بين

[1]-.أسامة على حسن موسى ،المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود ،مرجع سابق ص203
[2]-امام عبد الفتاح امام، رحلة في فكر زكي نجيب محمود ، مرجع نفسه، ص 55
[3]-.زكي نجيب محمود ،قصة عقل مصدر السابق، ص94 .

مجالين مجال التفكير العلمي و مجال الوجدان الا ان هذا التفريق بين العقل والوجدان سرعان ما تحول الى جمع فرى ان هذه الثنائية هي المميزة لتراث العربي وهي المنفذ للفكر العربي من واقعه المتأزم لذلك أصبحت نظرته تميل الى التوفيق بين الهوية العربية الاسلامية و الطابع الحديث وهذا بأخذ ما يساير واقعنا من ثراثنا فالحياة العملية للانسان حسب زكي نجيب محمود ولا بد لها من قواعد عامة يستعان بها هذه القواعد هي المبادئ الأخلاقية فقضية الأصالة و المعاصرة هي بمثابة النزوع التركيبي الذي اتخذ زكي نجيب محمود لتحديد العلاقة بين ما هو جوهري في هذا الثرات وبين حقائق عصرنا ليقيم بينهما ثنائية لا تطمس خصوصيتنا العربية النابغة من الثرات ،ولا تعزلنا في الوقت نفسه من حقائق عصرنا أو تجعلنا مجرد أتباع له [1] فقد كان زكي نجيب محمود منحازا في مرحلة من مراحله الفكرية الى الحضارة الغربية وهذا ما ينبثق منها من أفكار و ثقافة "الا أنه أدرك أن ذلك الومقف فيه الكثير من التطرف ،ومن ثم فقد عدل عن هذا الموقف وجمع بين ثقافة الغرب و ثراث الذي نبت في أرضه [2].

ولكن اذا ما أردنا تبني هذه النظرة عل أرض الواقع نلاحظ أن للكثيرين اعتبروها محاولة غير ممكنة فأسامة علي حسن موسى يرى بأن زكي نجيب محمود "لم ينجح في كثير من المواقف لأنه لم ينظر لهذه المواقف نظرة تاريخية اجتماعية و تجاهل الصراع الدائم بينهما من القديم " [3]،أما بخصوص موقفه من الميتافيزقيا فقد تغير موقفه هو الآخر فبعدما كان يرفض كل العبارات التي لا معنى لها تغير موقفه فأصبح من المقبول أن تتعمق في ما وراء اللغة لاكتشاف خفايا من هنا يتضح لنا مدى التحول الذي حدث في نظرة زكي نجيب محمود للميتافيزيقيا "انني فرقت بين نوعين من الميتافيزيقيا لأرفض منها نوعا وأبقي على الآخر فاذا كنت تصرف حديثك عما وراء الأشياء من خفايا على

[1]-.محمود امين العالم ، مواقف نقدية من التراث ،مرجع سابق ،ص171.
[2]-سعيد مراد **زكي نجيب محمود أراء و أفكار** ، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، بدون بلد، 1997
[3]-أسامة عبى حسن موسى ،المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود ،مرجع السابق، ص200.

الحواس فذلك ما قد يورطك فيما ليس له معنى أما اذا صرفت الحديث الى ما وراء التركيبة اللفظية المعينة لتكشف ما استتر وراءها عن فروض مفسرة فذلك مقبول و مشروع بل و ضروري للفكر اذا أراد أن يتعمق فهمه للعلم و قضاياه "[1] .

فعلى الرغم من كل تلك التحولات التي طرأت على حياة زكي نجيب محمود الفكرية حيث يظهر أن أفكاره كانت شديدة التباين الى درجة التناقض الا أن هذا راجع الى تأثره بواقعه المعاش وقد لا يكون هذا سلبيا فربما كانت أفكاره تتماشى مع واقعه وتتغير بتغير الا أنه يبقى مفكر له بصمته الخاصة في الحياة الفكرية العربية المعاصرة فهو "مخلص لوطنه ولدينه و عقيدته بغير جمود أو تحجر أراد أن يسود الاجتهاد و حياة الفكر وأن يتواصل البناء قديما و حديثا حفاظا على الهوية و في ذات الوقت مشاركة فاعلة في صنع الجديد الذي لا تستقيم الحياة الا به "[2]

[1]-.زكي نجيب محمود ،قصة عقل ،مصدر سابق ،ص 112.
[2]-.سعيد مراد:آراء و أفكار ،مرجع سابق ،ص201.

الخاتمة

خاتمة:

بعد هذه الرحلة التي قادتنا إلى التغلغل في فكر زكي نجيب محمود وحرصا على معرفة إسهاماته في الفكر العربي يمكن استخلاص النتائج التالية:

لقد كانت لـ زكي نجيب محمود نظرة ميتافيزيقية أو بالأحرى صوفية في المراحل الأولى من حياته وقد ظهر هذا الجانب من خلال شرحه لقصيدة العيّنة لابن سينا التي تعتبر أول أعماله.

وليس ببعيد عن عيّنة ابن سينا تحدث زكي نجيب محمود عن النفس في موضوع آخر وهو رسالته في الدكتوراه بعنوان الجبر الذاتي.

من خلال قراءة إنتاجات زكي نجيب محمود تبيّن لنا جانب غفل عنه الكثير من المفكري وهو تفكيره في مرحلته الروحية الأولى، أي في شبابه.

ويبرز جانب آخر في فكر زكي نجيب محمود أثناء إقامته بانجلترا واطلاعه على الفكر الغربي وتأثره به وهذا ما أدى إلى ظهور نوع من التناقض في فكر زكي نجيب محمود إذا ما قارناه بالمرحلة الأولى من تفكيره التي طغى عليها الجانب الوضعي المنطقي أو (الوضعية المنطقية) وأمام الواقع المتأزم الذي كان يطبع الفكر العربي رأى زكي نجيب محمود بضرورة اتباع الفكر الغربي هذا الأخير الذي ميزته النظرة العقلانية التي يجب أن تطبق في مجتمعاتنا الغربية من أجل تحقيق التطور والتقدم وإخراج الوطن العربي من أزمته الفكرية.

ولقد اعتمد زكي نجيب محمود على العقل في كثير من المواضيع أثناء تحليله لمشكلات الأمة العربية مستخدما في ذلك الوضعية المنطقية التي اعتبرها السبيل المثالي الذي يحتاجه الوطن العربي من خلال تبنيها للعلم وقوانينه الذي يعتبر ميزة العصر الراهن وجوهره.

لذلك أخذ زكي نجيب محمود على عاتقه الدور التنويري في العالم العربي من خلال تحقيق فكر عربي جديد وثقافة عربية جديدة تقوم بتغيير مظاهر الحياة العربية وتجديد نظرته لذاته ولعصره ولذلك وجد في الفلسفة الوضعية ضالته لأنها ترتبط بالعلم والخبرة الحسية.

وإن تعدد التيارات الفكرية في الفكر العربي هي حقيقة قائمة بذاتها حيث يهدف كل تيار إلى إيجاد الحلول من أجل تنظيم المجتمع وإخراج الأمة العربية من أزماتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلا أن هذه التعددية أدت إلى تضارب في الأفكار أدى إلى ظهور

قضية الأصالة والمعاصرة وأصبحت القضية الأولى هذا ما جعل الفكر العربي يدور حول محور التراث من جهة والحداثة من جهة أخرى ولقد وجد زكي نجيب محمود أن الحل الأمثل الذي يخرج الأمة من التأزم هو الجمع بينهما أي بين الأصالة والمعاصرة معا وهذا يوضح مدى استفادة زكي نجيب محمود من منهج الوضعية المنطقية في المرحلة الأخيرة من تطوره الفكري عندما قام بإعادة النظر في التراث ودراسته والتعمق فيه فلم يتخلى عن الوضعية المنطقية بصفة كاملة وإنما استطاع تجاوز الموقف التغريبي القائم على تحقيق التقدم لا يكون إلا باتباع المنهج الغربي إلى موقف تحديثي يقوم على الحفاظ على الهوية القومية للأمة العربية الإسلامية من جهة والأخذ بإسهامات الفكر الغربي في المجالات الاقتصادية المختلفة من جهة أخرى أي أن المرحلة الأخيرة من المراحل الفكرية التي مرّ بها زكي نجيب محمود تجمع بين المرحلتين السابقتين حيث كان في المرحلة الأولى متصوّفا إن صحّ القول وفي المرحلة الثانية اتّبع المنهج الغربي الحديث ثمّ جاءت المرحلة الثالثة كمرحلة تركيبية فأراد بذلك أن يكوّن فلسفة عربية يجمع فيها الأفكار الماضية والمعاصرة أي بين التراث والعلم والعقل والوجدان .

ومن هنا ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ زكي نجيب محمود من أبرز المفكّرين العرب من خلال إسهاماته المتميزة وتطوراته الفلسفية حيث كانت له جوانب متعددة من الجانب الميتافيزيقي مرورا بالجانب الغربي وصولا إلى تغلغله في التراث العربي واستطاع أن يجعل لنفسه مكانة وسطى بين الفكر الغربي والعربي فأصبح من أهم دعاة التنوير في العالم العربي الإسلامي إلى جانب مساهمته في تطوير الفكر العربي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ/المصادر:

1.زكي نجيب محمود من خزانة أوراقي -دار الهدية للطباعة والنشر ، بدون بلد ، ط1996،1 .

2.زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، بيروت ،ط1، 1981.

3.زكي نجيب محمود ، قصة عقل ، دار الشروق ،القاهرة ،ط1، 1988.

4.زكي نجيب محمود ، نافذة على فلسفة العصر مقالات عن الفلاسفة نشرت بمجلة العربي ، كتاب العربي ،1996.

5.زكي نجيب محمود ،المنطق الوضعي ،مكتبة الأنجلو-مصرية ، القاهرة ، ط1 ،1966.

6.زكي نجيب محمود، حصاد السنين ، دار الشروق ،القاهرة ،دون سنة.

7.زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد ، مطابع الشروق ،بيروت ،ط2، 1982.

8.زكي نجيب محمود، قتور ولباب ، دار الشروق ،القاهرة ،د.ط

9.زكي نجيب محمود، نحو الفلسفة العلمية ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ط19800،2

10. .زكي نجيب محمود ،ثقافتنا في مواجهة العصر ،دار النشر، بيروت، الطبعة الثالثة ،1982

11. زكي نجيب محمود المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري ،دار الشروق بيروت، دط

12. زكي نجيب محمود، مجتمع جديد او كرثة ، دار الشروق بيروت، ط3 ،1983

13. زكي جيب محمود ، **موقف من الميتافيزيقا** ، دار الشروق ، بدون بلد ط4 ، 1993

14. زكي نجيب محمود، قصة نفس ، دار الشروق ،بيروت ،ط2، 1983،ص178.

ب/المراجع

1. أحمد عاطف غيث، نقد العقل الوضعي –دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود ،دار الطليعة ، بيروت ،ط1980،1.
2. أسامة علي الموسى ، مفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والتعريب والنشر ،الكويت ،ط1997،1 .
3. إمام عبد الفتاح إمام . زكي نجيب محمود في جامعة الكويت خمس سنوان خصبة في حياة الفيلسوف ، مجلة عالم الفكر المجلد السابع والعشرون ، العدد الثالث ، جانفي-مارس 1999.
4. إمام عبد الفتاح إمام .رحلة في فكر زكي نجيب المجلس الأعلى للثقافة ، دون بلد ،2001.
5. جون ديوي المنطق ،نظرية البحث ترجمة زكي نجيب محمود ،دار المعارف ، القاهرة ط1960.
6. السيد ولد أباه ،أعلام الفكر العربي ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت ،2010،ط1.
7. عبد الباسط سيدا –الوضعية المنطقية والتراث العربي –نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي ، دار الفارابي ، بيروت ،ط1، 1990.

8. كساسي أدهم –الوضعية المنطقية والنسخة العربية ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 75/74 مارس –أفريل 1990.

9. .أحمد ماضي: العقل و العقلانية في كتاب زكي محمود نجيب ،المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998،دط

10. فؤاد زكرياء : زكي نجيب محمود المشهد الأخير ،مجلة العربي ،عدد 420،نوفمبر 1993

11. محمود أمين العالم ، الفكر العربي بين الخصوصية و الكونية ،دار المستقبل العربي ،بيروت،لبنان ،ط1، 1996

12. -سعيد مراد **زكي نجيب محمود أراء و أفكار** ، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، بدون بلد، 1997

13. إمام عبد الفتاح إمام . زكي نجيب محمود في جامعة الكويت خمس سنوات خصبة في حياة الفيلسوف ، مجلة عالم الفكر المجلد السابع والعشرون ، العدد الثالث ، جانفي-مارس 1999

14. سامى أدهم –الوضعية المنطقية والنسخة العربية ،مجلة الفكر العربي المعاصر ،عدد 75/74 مارس –أفريل 1990

ج/المعاجم:

1. ابراهيم مذكور المعجم الفلسفي –الهيئة العامة. لشؤون المطابع، القاهرة ،1983